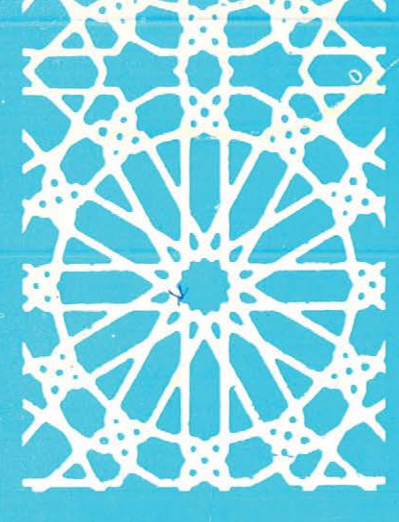
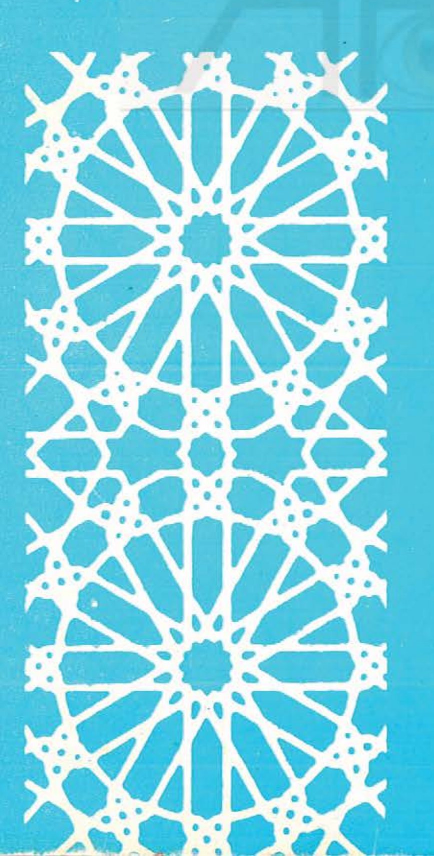


حركات المولدين في الجنوب الأندلسي

في عصر الإمارة الأموية بالأندلس

(٢٦٧هـ/٨٨٠م) - (٣١٦هـ - ٩٢٩م)



دكتور
محمد عيسى الحريري
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
كلية الآداب - جامعة المنصورة

١٩٨٥

دار المعرفة الجامعية
٤٠ سوتير - الأزاريطة

حركات المولدين فى الجنوب الأندلسى

فى عصر الامارة الأموية بالأندلس

(٢٦٧هـ/٨٨٠م) - (٣١٦هـ - ٩٢٩م)

دكتور
محمود عيسى الحريرى
أستاذ التاريخ الاسلامى المساعد
كلية الآداب - جامعة المنصورة

١٩٨٥

دار المعرفة الجامعية
٤٠ سوتير - الأزاريطة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد لله

فاتحـه كل خير

وتمام كل نعمـة



الإهــداء

الى أمى نبع الحنان المتدفق فى حياتى •••



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الصادق الأمين • وبعد :

هذه دراسة تتناول ثورة عمر بن حفصون ، الذى تزعم المولدين فى الجنوب الأندلسى فى الفترة ما بين (٢٦٧هـ/٨٨٠م) وسنة (٣١٦هـ/٩٢٩م) وتعتبر هذه الثورة من أقسى ألوان المعارضة التى واجهها العرب فى نهاية عصر الامارة الأموية بالأندلس • حيث سبقت هذه الثورة بأنشطة وثورات معادية كثيرة للحكم العربى فى بلاد الأندلس ، كثورة المولدين فى طليطلة ، زمن الحكم الربضى سنة (١٨١هـ / ٧٥٧م) ، وثورة الربض المشهورة ، والتى كانت فى عهد الحكم الربضى أيضا • وكانت هذه الثورات تبحث عن صيغة لتحقيق التوازن السياسى والاجتماعى بين الفاتحين العرب من ناحية ، والمولدين والمستعربين من ناحية أخرى •

والواقع أن عمر بن حفصون كان شخصية انتهازية الى أبعد الحدود، استغل الظروف والأحداث والضعف الذى لحق الامارة الأموية فى سنواتها الأخيرة ، واعتلى موجة القومية الاسبانية ، التى نشطت فى ذلك الوقت ، وتحولت الى قومية اسبانية اسلامية ، اتجهت الى اقامة دولة اسلامية فى بلاد الأندلس يترأسها أحد المولدين المسلمين من الاسبان • وكان ذلك بتأثير التفاعلات السياسية التى حدثت فى بلاد المغرب نتيجة لازدهار الفكر الخارجى ، والفكر الشيعى ، وكانت تجربة الخوارج — الذين أقاموا الدولة الرستمية فى المغرب الأوسط

بزعامة عبد الرحمن بن رستم الفارسى الأصل — أكثر وضوحا أمام المولدين .

استهوت هذه الفكرة عمر بن حفصون ، وسار المولدون وراءه بحثا عن المساواة بينهم وبين العرب ، فى الحقوق السياسية والاجتماعية . ولكن على أساس أن الثورة كانت فى اطار مبادىء الاسلام الخالدة ، والتى من أهمها المساواة بين الشعوب المنضوية تحت لوائه . ولذلك عندما بدأ عمر بن حفصون ينحرف عن المقصد الحقيقى للثورة واعتنق المسيحية ، انفض المولدون من حوله ، وهذا يعنى سلامة جبهة المولدين الاسلامية ويقظتها ، وأن هذه الجبهة كانت غاية فى الانتباه واللياقة فى ثورتها . ولذلك بدأت ثورةعمر بن حفصون تفقد بريقها وتأخذ فى التقلص والتداعى والضعف ، حيث لم يتبق معه سوى شرازم مسيحية ، استعصمت معه فى قلاع جبل ببشتر ، وغيره من الحصون فى الجنوب الأندلسى ، انهارت كلها أخيرا أمام الضربات القوية التى وجهها عبد الرحمن الناصر اليها .

واقتضت الدراسة أن أقسمها الى خمسة فصول وخاتمة :

أما الفصل الأول وعنوانه : « مقدمات الثورة » فتحدثت فيه عن أسرة عمر بن حفصون ، وبداية ارتباطها بالاسلام ، وكيف أصبح أفرادها من المولدين . وأثبت أنهم ليسوا من طبقة المولدين ذوى الأصول العربية ، وانما هم مولدون من أصل اسبانى صرف . وتتبعت وضع عمر بن حفصون الأسرى ، وارتباط هذه الأسرة بثورة الربض المشهورة.ثم تحدثت عن عمر بن حفصون خلال المراحل الأولى من ثورته، وكيف تحول من قاطع طريق الى مغامر سياسى وزعيم ثورة .

وفى الفصل الثانى الذى عنوانه : المجتمع الأندلسى قبيل الثورة » . تناولت بالتحليل ، العناصر التى تكون البناء

الشعبى للدولة الأموية الأندلسية فى عصر الامارة ، العلاقات بين هذه العناصر ، ودور كل منها فى ثورة عمر بن حفصون مؤثرا ومتأثرا • وفى أثناء ذلك تحدثت عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المسببة للثورة •

أما الفصل الثالث وعنوانه : « الثورة » • وفيه عنيت بالحديث عن منطقة ببشتر التى اندلعت فيها الثورة ، ومدى ما تتمتع به المنطقة من حصانة طبيعية ، فضلا عن توسطها منطقة حافلة بتجمعات شعبية تؤيد الثورة سواء من المولدين أو من المستعربين •

وتحدثت عن جهود الأمير محمد بن عبد الرحمن ، لاخماد ثورة ابن حفصون ، ومحاولة احتوائه ، وفشل هذه المحاولة بسبب سوء المعاملة التى لقيها عمر بن حفصون من كبار رجال الامارة ، وهرب عمر ابن حفصون بعد ذلك ، ومعاودته للثورة • ووجهت اهتمامى الى البحث عن مدى تأثير الأحداث المغربية وتفاعلها مع ما يجرى فى بلاد الأندلس ، وبينت كيف حاول عمر بن حفصون تطوير الثورة لاقامة دولة تكون السلطة فيها للمولدين بزعامته ، ثم تتبعت بعد ذلك جهود الأمير المنذر بن محمد لمواجهة هذه الثورة •

وفى الفصل الرابع وعنوانه : « عمر بن حفصون والأمير عبد الله ابن محمد » تناولت الوضع السياسى المتدهور فى الامارة الأموية ، وأثر ذلك على انكماش مالية الدولة ، واستفحال ثورة عمر بن حفصون نتيجة هذا التردى فى قوة الامارة • وتضمن الفصل الحملات المتتابعة من جانب الأمير عبد الله للقضاء على هذه الثورة ، وسياسة عمر بن حفصون الرامية الى التوسع على حساب عهود الصلح التى كان يبرمها مع الأمير عبد الله • كما تحدثت فى هذا الفصل عن موقف الزعامات العربية من ثورة ابن حفصون ، وبينت أن هذا الموقف أملته

مصالح هذه الزعامات العربية الخاصة ، علاوة على أنهم فضلوا الوقوف الى جانب الأمير عبد الله حرصا على المصلحة العليا للاسلام • كما تتبعت المحاولات التى قام بها ابن حفصون للاتصال بمختلف القوى السياسية الخارجية المناهضة للامويين فى الأندلس ليعطى ثورته وجها من أوجه الشرعية ، كاتصاله بالعباسيين والأغالبة والأدارسة • وحددت موقف هذه القوى من هذه الثورة • كذلك تابعت دراسة وضع عمر بن حفصون فى حصن (بلاى) القريب من قرطبة ، والذى اتخذه ابن حفصون قاعدة لخوض المعركة الفاصلة ضد الأمويين فى بلاد الأندلس، وأوضحت كيف انقلبت الموازين العسكرية فى صالح الأمير عبد الله الذى انتصر فى معركة (بلاى) ومضيت بعد ذلك فى تتبع آثار معركة بلاى على مسار ثورة ابن حفصون ، وكيف أن من أهم نتائج هذه المعركة انكماش هذه الثورة ، وارتداد صاحبها عمر بن حفصون عن الاسلام وتنصره ، ومحاولاته للتحالف مع مولدى الشمال الأندلسى وفشله فى ذلك ، وانتهى الفصل بوفاة الأمير عبد الله •

يأتى بعد ذلك الفصل الخامس والأخير وهو بعنوان : « عبد الرحمن الناصر ونهاية ثورة عمر بن حفصون » وفيه تناولته كيفية وصول عبد الرحمن الناصر للحكم ، وموقفه من ثورة عمر بن حفصون ، وسياسته الرامية الى جذب حلفاء عمر بن حفصون الرابضين فى الحصون المحيطة بقلاع ببشتر ، لتجريد ابن حفصون من هذه القوة المحيطة به ، كذلك تتبعت بالدراسة حملات عبد الرحمن الناصر التى وجهها الى ابن حفصون فى ببشتر حتى استسلم أخيرا بعد أن فقد الأمل فى البقاء على رأس المعارضة للحكم العربى الأموى • كما تضمن الفصل شرحا لسياسة عبد الرحمن الناصر مع أبناء عمر بن حفصون ، وكيف انتهى الأمر باستيلاء الناصر على ببشتر والقضاء على الثورة نهائيا •

وبعد هذه الفصول خاتمة تضمنت أهم النتائج التى توصلت اليها هذه الدراسة ، اتبعتها بقسم للمـلاحق ، وخريطة لبـلاد الأندلس ، توضح أهم المدن التى دارت فيها أحداث هذه الثورة ٠

وختاما : أحمد الله تعالى الذى وفقنى لانجاز هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ٠ والله ولى التوفيق ٠

د٠ محمد عيسى صابر الحريرى

صنعاء فى ٥ ربيع الأول ١٤٠٣
٢٠ ديسمبر ١٩٨٢ ٠





الفصل الأول

مقـدمات الثـورة



لم تبلغ ثورة في بلاد الأندلس مابلغته ثورة عمر بن حفصون، اذ تمثل هذه الثورة ظاهرة واضحة في تاريخ الأندلس ، وهي ظاهرة تفتيت الكيان الأموي قرب نهاية عصر الامارة الأموية (١٣٨ هـ/٧٥٦ م — ٣١٦هـ/٩٢٩م) وتوزعه بين عدد كبير من الثوار من العرب والبربر والمولدين . حتى ان بعض المؤرخين المحدثين أطلقوا على هذه الفترة من عصر الامارة الأموية من سنة (٢٣٨ هـ/٨٥٢م) الى سنة (٣٠٠هـ/ ٩١٢م) عصر دويلات الطوائف الأولى(١) .

وعمر بن حفصون من المولدين ، وهو يمثل الجيل الرابع في أسرته المولدة المسلمة فهو « عمر بن حفص المعروف بحفصون بن عمر ابن جعفر بن شتيم بن ذبيان بن فرغلوش بن اذفونش(٢) » . وقد نص ابن عذارى على أن جعفر بن شتيم — الجد الثاني لعمر بن حفصون — هو الذي اعتنق الاسلام في هذه الأسرة (٣) .

---

(١) د. أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ط مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية ، ص ١٦٧ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ت.ج.س. كولان ، ليفي بروفنسال ط دار الثقافة ببيروت ، ج ٢ ، ص ١٠٦ ، (وذكر ابن خلدون نقلا عن ابن حيان أنه « عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن ادفونش القس » . واعتقد أن دميان التي وردت في تسلسل نسب عمر بن حفصون في رواية ابن خلدون أقرب الى الصحة من ذبيان التي وردت في نص ابن عذارى ، لأن ذبيان اسم لاحدى القبائل العربية المضرية المعروفة ، ولا معنى لوجود ذبيان بين شتيم وفرغلوش وهما من الأسماء القوطية . ابن خلدون : العبر ، ط دار الكتاب اللبناني ببيروت ، ج ٤ ص ٢٩٢ ، د. جمال الدين سرور : قيام الدولة العربية الاسلامية ، دار الفكر العربي ، ص ٢٠).

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ .

والمعروف أن المولدين مصطلح ظهر بعد فتح المسلمين لبلاد الأندلس ، ورأى بعض المؤرخين من أمثال خوان جارثيا تولسا (Jgarcia Tolsa) أن المولدين هم الأبناء الذين جاءوا نتيجة زواج مشترك من الفاتحين وبنات السكان الأصليين (٤) . وعلى هذا فعمر بن حفصون لا يدخل ضمن هذه الفئة من المولدين ، لأنه من أب اسبانى . أما كونتزى ، وماركيزدى لوثويا فيقرران تعريفا أوسع للمولدين ، فهم يتمثلون فيمن اعتنق الدين الاسلامى من الاسبان ، ودرس الثقافة العربية ، وتعلم لغة الفاتحين ، واحتفظ فى الوقت نفسه بلغته الاسبانية الرومانية (٥) . وهذا التعريف للمولدين ينطبق على عمر بن حفصون تماما ، فهو من أب اسبانى اعتنق جده الاسلام (٦) فضلا عن أن بعض الروايات تذكر أن عمر بن حفصون ظل يحتفظ بلغته الاسبانية القديمة ، وكان يستخدم بعض كلماتها فى حديثه : مثل قوله عندما قيل له بوجود قطيع من خيل العدو وماشيته على مسافة بعيدة : «هذا توهيم لابياطة » . فكلمة بياطة (Boyada) ، معناها بالاسبانية القطيع من البقر والخيل » (٧) .

والمهم هنا أن عمر بن حفصون ليس من شريحة المولدين ذوى الأصول الأبوية العربية التى تزوجت باسبانيات ، وانما هو من أصل اسبانى صرف ، وقد أثر ذلك على حجم الأفكار التى تبناها عمر بن

---

(٤) د. عبد الله جمال الدين : الموريسكون أو المدجنون آخر المسلمين فى الأندلس ، حوليات دار العلوم ، العدد الثامن ، ١٩٧٨/٧٧ ، ص ٣٣ .

(٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٧) ابن حيان : المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، ت : الأب ملشورم. أنطونيه ، باريس ١٩٣٧ ، ص ٩٧ ، د. أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧١ .

حفصـــون فى ثورته ، والآمال التى حملها وعبر بها عن تطلعـــات بنى جلدته من المولدين الاسبان ، فركب موجة القومية الاسبانية ليصل عن طريق ذلك الى تحقيق أطماعه الشخصية •

والتفاصيل الأولى عن شخصية عمر بن حفصون كما نجدها عند بعض المؤرخين ، تذكر أنه كان شديد الطموح ، عظيم التطلعات ، وانه لم يقنع بمهنة والده الذى كان فلاحا بسيطا فقيرا ، لأن هذه المهنة لم ترض طموحه من الناحيتين المادية والمعنوية(٨) • ولكن فقر والده أمر مشكوك فيه ، لأن معظم المؤرخين القدماء والمحدثين ، ذكر أن عمر بن حفصون ، كان سليل أسرة نبيلة ترجع الى أصـــل قوطى ، فجده عنـــد الفتح هو الفونســـو القس ، وكان أبوه من ذوى المـــال والوجاهة فى كورة تاكرنا ، والتى كانت مقرا لعائلتهم(٩) • وقد اضطرت هذه العائلة فى أيام الحكم الربضى الى اســـتيطان قرية ترجيلة ، من أعمال كورة

---

(٨) د• خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، منشورات الجامعة الليبية ، ص ٢٦٢ ، د• أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧٠ •

(٩) عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، العصر الأول ، القسم الأول ص ٣٠٨ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ٢٩٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٦ ، ابـــن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ط مجريط ، ص ٩١ ، ص ٩٢ ، د• أحمد شلبى : موسوعة التـــاريخ الاسلامى ، طبعـــة ١٩٦٦ ج ٤ ، ص ١٠٧

Scott, S.P., History of the Moorish Empire in Europe, London (1904), V.I. P. 521,

(تاكرونة : هكذا رسمها ياقوت : بالواو الساكنة ، وهى ناحية من أعمال شذونة بالأندلس • أنظر ، ياقوت : معجم البلدان ، ط بيروت ، ج ٢ ، ص ٧) •

رية، بالقرب من حصن أوطة (١٠)• وهذه الاشارة من ابن القوطية تعنى أن أسرة عمر بن حفصون اشتركت فى ثورة الربض المشهورة ، التى قام بها المولدون أيام الحكم الربضى سنة (٢٠٢هـ /٨١٧م) — والتى ســوف نفيض فى شرحها بعد ذلك — وهذا ما يؤكد انتماء عمر بــن حفصــون الى أصــول ثورية كانت تضج بكراهيتها للعرب منذ وقت بعيد •

ومما يؤكد أرومة عمر بن حفصون ، وانتماءه الى أصل اسبانى نبيل ذى يسار ، أن والده حفصا أضاف لاسمه مقطعا اسبانيا وهو (ون) فى آخر الأسم العربى ، فصار يعرف بحفصون (١١) • ويلاحظ أن اسم حفصون صيغة تكبير لأن الواو والنون فى آخر اللفظ تدل على التكبير أو التفخيم وهى مأخوذة عن المقطع الاسبانى (un) أو (on) فى آخر الكلمة مثل قولهم Soltero ، بمعنى عزب ، ثم Solteron بمعنى عانس • وهناك أســماء أندلســية كثيرة تأثرت بهذه الصيغة

---

(١٠) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٠ ، ٩١ ، د. احمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها ، ج ١ ، ط أولى مكتبة أطلس بدمشق ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، (ترجيلة) : بالضم ثم السكون وكسر الجيم وياء ساكنة ، ولام . مدينة بالأندلس من أعمال ماردة بينها وبين قرطبــة ستة أيام غربا ، وبينها وبين سمورة من بلاد الفرنج ستة أيام ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٢ ،

رية : وتكتب أيضا رية ، بضم الباء وتشديدها ، وهو الأصح ، وهى اسم لكورة من الكور الصغيرة فى جنوب الوادى الكبير ، كانت تضم قواعد كبيرة مثل أرشذونة ، ومالقة ، فى الفترة مــدار البحث ، أنظر ابن الابار : الحلة السيراء ، ت : د. حسين مؤنس ، ج ١ طبعة الشركة العربية للطباعة والنشر ، هامش ص ٦٣) .

(١١) المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

الاسبانية ، مثل غلبون بزيادة الواو والنون على غالب ، ومثل عبدون فى عبد ، وخلدون فى خالد وهكذا (١٢) •

تميز عمر بن حفصون من بين أبناء حفصون الثلاثة بأنه كان شرسا حاد المـزاج (١٣) • وقد أدى به ذلك الى قتل أحد الجيران فى أثناء مشاجرة بينهما ، ودفعه ذلك الى الهرب الى احدى مناطق رية الجبلية فرارا من العقاب • وهناك انضم الى بعض الشباب من العابثين ، وقام معهم ببعض أعمال السلب والنهب والسطو (١٤) ،فقبض عليه عامل رية المعروف بدونكير من بنى خلد كما يروى ابـن القوطية (١٥) • ونظرا لحداثة سن عمر بن حفصـون ، فقد اكتفى عامل رية بضربه بالسياط، وتعذيبه حتى فقد وعيه ، بدلا من عقـوبة القتل التى كانت تنفذ فى رجال العصـابات وقطاع الطرق ، ويبدو أن عامل رية لم يكن يعرف جريمة القتل التى ارتكبها عمر بن حفصون قبل ذلك(١٦) •

ويبدو أيضاأن عمر بن حفصون خـلال فترة تواجده فى المناطق الجبلية برية اتصـل بكثير من أهلها الفارين من عسـف عمال الامارة الأموية فى قرطبة ، وكان هؤلاء العمال قد اشتطوا فى جمع العشور ،

---

(١٢) د. أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧٠ •

(13) Scott, op. cit., V.I. p. 521.

(١٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩١ ، د. أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها ، ج ١ ، ص ٢٤١ •

(١٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة •

(١٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة ،

Scott, op. cit., V.I. p. 521.

فاعتصم كثير من الأهالى بالجبال ، واستعدوا فيها لمقاومة السلطات(١٧) •

ويبدو أن عمر بن حفصون تحول خلال هذه الفترة من قاطع طريق الى مغامر سياسى ، تبنى كثيرا من آمال قومه ، ولكن شـبح جريمته الأولى ظل يطارده ، ولذلك قرر الفرار الى الشمال الأفريقى ، واستقر هناك فى تاهرت عاصمة الرستميين — الذين أقاموا دولتهم فى المغرب الأوسط فى الفترة مابين سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م) وسنة(٢٩٦هـ/٩٠٨م) — حيث عمل هناك صبيا عند أحد الخياطين الأندلسيين ، أصله من رية ، وكانت له معرفة سابقة بأسرة عمر بن حفصون (١٨) •

ويروى ابن القوطية ما حدث لابن حفصون عند هذا الخيـاط : « فبينما هو جالس فى حانوته (الخياط) اذ أتاه شيخ معه ثوب يقطعه فقام اليه الخياط ، ووضع له كرسيا ، فقعد عليه ، فسمع الشيخ كلام ابن حفصون فأنكره عند الخياط ، فقال له : (للخياط) من هذا ؟ فقال: غلام من جيرانى برية أتى ليخيط عندى • فالتفت الشيخ اليه (الى ابن حفصون) • فقال له : متى عهدك برية ؟ قال : (ابن حفصون) • منذ أربعين يوما قال : تعرف جبل ببشتر ؟ فقال له : (عمر بن حفصن) أنا ساكن عند أصله ، قال له الشيخ : فيه حركة ؟ قال : لا • قال : قد أزله ذلك • ثم قال له : هل تعرف فيما يجاوره رجـلا يقال له عمر بن

---

(١٧) عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، القسم الأول ، ص ٣٠٨ ، (قرطبة : بضم أوله وسكون ثانيه ، وضم الطاء المهملة أيضا ، والباء موحدة يرى ياقوت أن اسمها عجمى رومى ، وبينها وبين البحر خمسـة أيام ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٣٢٤) .

(١٨) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩١ ، ٩٢ ، د. محمد عيسى الحريرى : مقدمات البناء السياسى للمغرب العربى ، مكتبة الشباب ١٩٧٩ ، ص ٩٠ ،

Scott, op. cit., V.I, p. 522.

حفصون ؟ فذعر(عمر بن حفصون) من قوله • وأحـد الشـيخ النظر اليه وكان ابن حفصون أفضم الثنية • فقال له : يامنحوس تحارب الفقر بالابرة ! ارجع الى بلدك ، فانت صاحب بنى أمية ، وسيلقون منك غيا ، وستملك ملكا عظيما • فقام من فوره ، وذلك خوفا من أن يفتش الأمـر وأن يتقبض عليه بنو أبى اليقظان وكانوا مالكى تيهـرت ، وولاؤهم لبنى أمية ، فأخذ (عمر بن حفصون) خبزتين من الخباز وألقاهما فى كمـه وخـرج فأتا* الأندلس (١٩) » •

ويكشف هذا النص جانبا من شخصية عمر ين حفصون ، أذ يؤكد أنها كانت شخصية معروفة لدى المولدين بجبل ببشتر ، بدليل أن الشيخ عندما سمع صوت عمر بن حفصون ، وهو يتحدث عند الخياط ، اعتراه الشك فى أنه يعرف صاحب هذا الصوت • ومن هنا بادر الى سؤاله عن الحركة أو الثورة التى بجبل ببشـتر ، علاوة على ذلك ، فان عمر بن حفصون ، أصابه الذعر بمجرد أن ذكر الشيخ اسمه • فلما أحد الشيخ النظر فى وجهه تعرفه من شفته المشقوقة تحت أنفه •

ان العبارات التى وجهها الشيخ لعمر بن حفصون بعد أن تعرف عليه ، وشرح له فيها الدور الذى يمكن أن يقوم به فى مواجهة بنى أمية فى الأندلس ، انتصارا لقومه من المولدين ، لا يمكن أن تكون رجما بالغيب من هذا الشيخ ، وانما تؤكد أن عمـر بن حفصـون قبـل أن يفر الى تاهرت ، كان شخصية ثائرة معروفة فى ببشتر ، وأنه تحول فى أثناء

---

(١٩) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩١ ، ٩٢ ، (تاهرت: وهى تاهرت الحديثة التى بناها بنو رستم فى المغرب الأوسط ، وهى تاهرت أو تيهرت ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧ •

★ كذا فى الأصل •

اقامته فى جبل ببشتر مع المولدين الفارين الى مناطق الجبال برية من عسف عمال بنى أمية من قاطع طريق الى مغامر سياسى •

عاد عمر بن حفصون الى الأندلس ، وتوجه من فوره الى موطنه حيث نزل على عمه ، ولم يفكر فى الذهاب الى أبيه لأنه كان شديدا عليه (٢٠) • ويرى ابن القوطية : أن عمر أخبر عمه بما قاله الشيخ المولدى له فى تاهرت • فقال له عمه : « وعسى !! فجمع له من أحداثه نحو الأربعين رجلا ودخل (ابن حفصون) الجبل (جبل ببشتر) فضبطه » (٢١) • وبدأت ثورة عمر بن حفصون وسرت فى المنطقة موجة عارمة من الخوف والفزع من مجرد ذكر اسمه لأن ثورته اقترنت بالسلب والنهب والقتل والقهر (٢٢) • كان ذلك فى سنة (٢٦٧هـ/٨٨١م) كما ذكر معظم المؤرخين ، حيث استمرت هذه الثورة تؤرق الامارة الأموية طيلة نصف قرن تقريبا ، وتطلب اخمادها جهود أربعة من أمراء بنى أمية فى الأندلس هم الأمراء : محمد ، والمنذر ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الناصر(٢٣) •

---

(٢٠) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٣ .

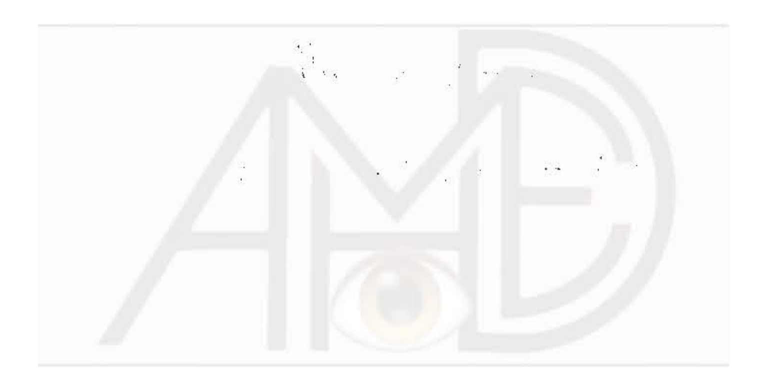
(٢١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(22) Scott, op. cit, V.I. p. 522.

(٢٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٤ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط ، ج ٢٢ ، ورقة ٢٧ .

الفصل الثانى

المجتمـع الأندلسى قبيل الثـورة



كانت الفترة التى ظهر فيها عمر بن حفصون فترة مضطربة ، ضعفت فيها سلطة الامارة الاموية فى قرطبة ، وتراخت قبضتها على العناصر التى تكون البناء الشعبى للدولة الاموية الأندلسية : حيث كان هناك الأهالى الأصليون ، وهم يكونون الغالبية العظمى فى البلاد ، بعضهم كان مسلما وعرفوا بالمولدين ، والبعض الآخر ظل متمسكا بديانته المسيحية ، ولكنه تعلم العربية ونثقف بثقافتها وهؤلاء هم المستعربون • علاوة على ذلك كان هناك الفاتحون ، وهؤلاء كان منهم العرب وهم أقلية من حيث الكثافة العددية بالنسبة للعناصر الأخرى ، وبعض هؤلاء العرب كان من عرب الجنوب من القبائل اليمنية ، والبعض الآخر كان من عرب الشمال من القبائل المضرية • وبين الفريقين احن وعداوات تقليدية قديمة • ومن الفاتحين نجد أيضا البربر أو المغاربة وهؤلاء كانوا أكثر من العرب بحكم قربهم واتصالهم المباشر والمستمر بوطنهم الأصلى فى بلاد المغرب ، المواجهة لبلاد الأندلس(١) •

وحتى هذه الفترة من عصر الامارة الأموية الأندلسية ، لم تكن هذه العناصر قد اندمجت بعضها ببعض ، ولذلك فعندما تكون قبضة الحكومة المركزية فى قرطبة قوية ، فان هذه العناصر الشعبية تعيش مع بعضها فى وئام تام ، فاذا ما ضعفت السلطة المركزية ظهرت أطماع هذه العناصر فى صورة استقلال محلى بالجهات التى يعيشون فيها وساعدهم على ذلك طبيعة اسبانيا الجبلية ، التى هيأت لهم كثيرا من فرص الخروج على سلطة الامارة الأموية فى قرطبة(٢) • علاوة على

---

(١) د. احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٦٧، ١٦٨ •

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحات •

ذلك كان لكل عنصر من هذه العناصر السكانية وضع اجتماعى خاص فى علاقته بالحكومة المركزية ، أو فى علاقته ببقية العناصر الأخرى المكونة للمجتمع الأندلسى .

فالمولدون كانوا يشعرون أنهم أصحاب البلاد الأصليون ، وأنهم اعتنقوا الاسلام للاعلاء من شأنهم ، ومع ذلك فقد كانت تجمعات من جند العرب الذين حملوا الاسلام اليهم يعاملونهم معاملة سيئة ، وخاصة فى الكور التى كان يسيطر عليها الجند من العرب الذين قدموا الى بلاد الأندلس فى اوائل القرن الثانى الهجرى ، وكان أبو الخطار بن ضرار الكلبى — عامل الأندلس (١٢٥هـ/٧٤٣م) — رقد وزع هؤلاء الجند العرب — وكانوا من الشاميين — على ست كور(٣) . أطلق

---

(٣) مجهول : أخبار مجموعة ، مكتبة المثنى ببغداد ، عن طبعة مجريط ١٨٦٧ ، ص ٤٦ ، د. أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس ، ص ٢٣٤ ، (وهؤلاء العرب من الشاميين وهم الذين قدموا لاخماد ثورة البربر التى تزعمها ميسرة المدغرى فى عهد الوالى عبيد الله بن الحبحاب ، وقد هزم هؤلاء الشاميون فى موقعة بقدورة ، على وادى سبو فى بلاد المغرب سنة ١٢٤ هـ/٧٤٢ م) ، نتيجة لروح العصبية الحادة التى أثارها قائدهم كلثوم بن عياض القشيرى ، وبلج بن بشر القشيرى اللذان كانا من غلاة التيسية ، وقد فر من تبقى من هذا الجيش من الشاميين الى سبتة . وهناك حاصرهم البربر حتى اضطروا لأكل دوابهم ، وأشرفوا على الهلاك ، فاستنجد بلج بن بشر القشيرى ، بعبد الملك بن قطن — عامل الأندلس فى ذلك الوقت — الذى كان يعانى هو الآخر ، من ثورة بربر الأندلس عليه عندما علموا بانتصار اخوانهم بربر المغرب فى موقعة بقدورة . فسمح عبد الملك بن قطن بجواز الشاميين الى بلاد الأندلس شريطة أن يساعدوه ضد البربر الثائرين عليه فى الأندلس ، وأن يبرحوا الأندلس بعد انقضاء مهمتهم . ولكنهم بعد أن أتموا مهمتهم رفضوا الرحيل من الأندلس ، وأصبحوا مشكلة كبيرة أمام الولاة والعمال ، سارع أبو الخطار بن ضرار الكلبى الى حلها بتوزيعهم على الكور الأندلسية فى جهات محددة . ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٥٨) .

عليها بعض المؤرخين اسم الكور المجندة(٤) . وكان ذلك التوزيع باشارة من أرطباس — وهو أحد أفراد الأسرة الملكية التى انتزع منها لذريق العرش قبل أن يفتح العرب بلاد الأندلس — وتحدد لهؤلاء الجند ثلث أموال أهل الذمة المقيمين بهذه الكور ، على أن يترك الثلثان للملاك من أهل الذمة ، ويبدو أن أرطباس سار فى ذلك على نفس القاعدة التى اتبعها القوط عندما نزلوا الأراضى الاسبانية ، التى كان يحكمها الرومان ، فأصبح لهم بمقتضى ما كان فى القانون الرومانى ثلث ملكية المضيف ، ونبقى الثلثان للمالك . وفى مقابل هذا الثلث الذى حصل عليه الجند يقومون بالخدمة العسكرية(٥) . وهذه الكور الست هى كورة البيرة ، ورية ، وشذونة ، واشبيلية ، وجيان ، وباجة ، وتدمير(٦).

---

(٤) د. أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس ، ص ٢٢٤ .

(٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٦) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ت : د. حسين مؤنس ، ج ١ ، ص ٦١ — ٦٣ ، (وكان توزيع العرب الشاميين على هذه الكور بهدف كسر شوكتهم ، وتمزيق عصبيتهم ، عنان دولة الاسلام فى الأندلس ، القسم الأول ، ص ١٢٦ .) ، البيرة : الألف فيه الف قطع ، وليست بألف وصل فهو بوزن اخريطة أو كبريته ، والبعض يقول : يلبيرة : وربما قالوا : لبيرة : وهى كورة كبيرة من الأندلس ومدينة متصلة بأرض كورة قبرة ، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا ، (ياقوت معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .) ،

شذونة : بفتح أوله ، وبعد الواو الساكنة نون مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحى موزور وهى منحرفة عنها الى الغرب مائلة الى القبلة (ياقوت : معجم البلدان ، ٣٢٩) . ،

اشبيلية : بالكسر ثم السكون ، وكسر الباء الموحدة ، وياء ساكنة ، ولام وياء خفيفة ، وهى مدينة كبيرة عظيمة بالأندلس ، كانت قاعدة ملك الأندلس قبل الفتح الاسلامى لاسبانيا ، وعملها متصل بعمل مدينة لبلة ، وهى غربى قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٩٥ .) ،

ويروى ابن خلدون أن أبا الخطار وزع جند الشام على النحو التالى : « أنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق ، وأنزل أهـل حمص اشبيلية ، وسماها حمص لشبهها بها ، وأهل قنسرين جيـان ، وسماها قنسرين ، وأهل الأردن رية وهى مالقة وسماها الأردن ، وأهل فلسطين شذونة ، وهى شريش وسماها فلسطين ، وأهل مصر تدمير ، وسماها مصر »(٧) . ويرى ابن خلدون أن توزيع أبى الخطار لأهـل الشام على هذا النحو كان لكثرتهم ، ولأن قرطبة لم تتحملهم(٨) . وأطلق على الأراضى التى امتلكها العرب بهذه الطريقة اسم برحلة جمع

جيـان : بالفتح ثم التشديد ، وآخره نون . مدينة لها كورة واسـعة بالأندلس ، تتصل بكورة البيرة ، ولكنها مائلة عنهـا الى الجوف من شرقى قرطبة بينها وبين قرطبة سـبعة عشر فرسخا ، وكورة جيان متصـلة بكورة تدمير ، وكورة طليطلة (المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .) ،

باجـة : فى البرتغال الحالية ، وكانت فى التقسـيم الادارى كورة واسعة من كور الأندلس ، وهى تقع على بعد ١٤٠ كيلو مترا جنوب شرقى لشبونه ، (ابن الابار : الحلة السـيراء ، ت : د حسين مؤنس ، ج ١ ، هامش ص ٦٢ .) ،

تدميـر : بالضم ثم السكون ، وكسر الميم ، وياء ساكنة ، وهو الاسـم القديم لكورة مرسية ، نسبت الى تدمير أو تيودومير ، حاكم هذه الناحية أيام الفتح الاسلامى لبلاد الأندلس . وهى فى شرق قرطبة والمسافة بينهما سبعة أيام للراكب ، وللراجل أربعة عشر يوما ، (المصدر السابق ، هامش ص ٦٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٩ .) .

(٧) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، وانظر أيضـا توزيع هذه القبائل فى ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، ت : د. حسـين مؤنس ، ج ١ ص ٦١ — ٦٣ .

(٨) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

براجلة(٩) • وهذا الأمر لم يقابل بأى احتجاج من الأندلسيين لأنه كان بمثابة ضريبة ، لكن الذى أثارهم على الجند من العرب بعد ذلك ، هو تمسك هؤلاء الجند بامتيازهم القديم رغم دخول عدد كبير من أهل الذمة فى هذه الكور فى الاسلام(١٠) • وقد كان هذا العامل الاقتصادى سببا فى كثير من الاحن والعداوات بين المولدين والعرب ، كما أن عدم سيطرة الامارة الأموية فى قرطبة ، وعجزها عن تنظيم هذه العلاقة المالية بين المولدين والعرب ، كان يمثل سلبية خطيرة من سلبيات الحكم الأموى فى بلاد الأندلس فى هذه الفترة العصيبة •

وقد كانت كورة رية — وهى إحدى الكور المجندة التى ساد فيها هذا الاضطراب الاقتصادى بين المولدين والعرب — مسقطا لرأس عمر بن حفصون زعيم المولدين الثائرين على العرب وعلى الادارة الأموية فى قرطبة • ولعل هذا العامل الاقتصادى ، يفسر لنا سلوك عم عمر بن حفصون — الذى كان من كبار الملاك فى المنطقة — فى اعطائه لابن أخيه عمر بن حفصون ، أربعين رجلا من رجاله ليبدأ بهم الثورة(١١)•

وكان عمر بن حفصون يرى فى هذا المسلك وهذه التصرفات من العرب لونا من ألوان العبودية ، وكثيرا ما أشار الى ذلك فى خطبه التى كان يلقيها على قومه من المولدين ، ليبين لهم عدالة موقفهم من الجند العرب ، ومن الادارة الأموية فى قرطبة ، من ذلك ما قاله فى احدى خطبه : « طال ما عنف عليكم السلطان وانتزع أموالكم ، وحملكم فوق طاقتكم ، وأذلتكم العرب ، واستعبدتكم ، وانما أريد أن أقوم بثأركم،

---

(٩) د. أحد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس ، ص ٢٣٤ •

(١٠) المرجع السابق ، نفس الصفحة •

(١١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٢ •

وأخرجكم من عبوديتكم »(١٢) • ويروى ابن عذارى أن ابن حفصون كان : « لا يورد هذا على أحد الا أجابه وشكره » (١٣) •

ولم يقف الأمر فى العلاقة بين العرب والمولدين عند حد الانتهاكات الاقتصادية ، وانما ترددت العلاقات الاجتماعية أيضا بين الطرفين ترديا خطيرا ، وان كان هذا التردى فى العلاقات الاجتماعية قد بدأ منذ فترة مبكرة ، فظهر فى صورة احتقار العرب للمولدين وتعاليهم عليهم• ويعلق (سكوت) على ذلك بقوله : « وقد كان هذا السلوك من جانب العرب بعيدا عن المثل العليا التى نادى بها الاسلام مرارا فى القرآن الكريم ، الذى دعا الى أن يعيش الجميع اخوة فى ظلاله ، ولكن الذى حدث أن العرب عاملوا المولدين معاملة سيئة رديئة ، أشبه ما تكون بمعاملة العبيد ، وكثيرا ما أهانوهم وأفقدوهم كثيرا من حقوقهم(١٤)• وقد ظهرت هذه المعاملة السيئة بجلاء على لسان الصميل بن حاتم — أحد زعماء العرب — حين عقب على الآية الكريمة « وتلك الأيام نداولها بين الناس ••• » • بقوله : ما أظن أن هذا الأمر سيشاركنا فيه الأراذل والسفلة » (١٥) • مشيرا بذلك الى غير العرب من الأعاجم ، ونمت هذه النظرة السيئة من جانب العرب الى المولدين حتى بلغت ذروتها خلال عصر الامارة الأموية •

---

(١٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

(١٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(14) Scott, op. cit., V.I. p. 536, 537.

(١٥) د. أحمد بدر ، دراسات فى تاريخ الأندلس ، ص ٢٢٣ ، (والمعروف أن الصميل ، هو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن ، وجده شمر هو الذى قتل الحسين بن على ، مجهول ، الأخبار المجموعة ، ص ٥٦) .

ويرى بعض المؤرخين أنه ربما كان العرب يعاملون المولدين فى بلاد الأندلس معاملتهم للموالى فى المشرق ، من ناحية ارجالهم عن الخيل ، واعتلاء العرب للخيول ، ويدلل على ذلك بأن المولدين فى المناطق التى سيسيطرون عليها سيرجلون العرب عن الخيل ثم يعتلونها هم (١٦) • ويتطور الأمر أيضا الى الهجاء السافر المباشر بين العرب والمولدين على كافة المستويات فى الدولة سواء المستويات الشعبية غير المسئولة التى لا تحتل مراكز فى الدولة ، أو تلك الشخصيات التى تعمل فى مضمار العلم • وقد ذكر ابن الفرضى تراجم لبعض العلماء من المولدين ، ظهر منها بغضهم الشديد للعرب ، واصرارهم على ذكر مثالب العرب ، ونقائصهم التى تعرفوا عليها من خلال ما درسوه أو نقلوه عن الكتاب والرواة والشعراء الشعوبيين فى المشرق ، وقد اضطر العرب فى بعض الأحيان الى اغتيال بعض هؤلاء العلماء من المولدين (١٧) • فيروى ابن الفرضى أن العرب قتلوا عالما يدعى عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وكان هذا العالم قد ملأ اشبيلية علما وبلاغة ولسانا حتى شرقت به العرب فلما حدثت النايرة بينها (العرب) وبين الموالى (المولدين) قتل يومئذ » (١٨) •

أما تلك الشخصيات التى كان لها ارتباطات بالبلاط الأموى فى قرطبة من الأدباء والفقهاء ، فقد ظهر ذمهم للعرب واعلاؤهم من شأن المولدين بصورة غير مباشرة • فابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، يحشد كثيرا من الشواهد الشعرية فى كثير من أجزاء كتابه المعروف بالعقد الفريد ، وكثير من هذه الشواهد تقريبا يتعلق بذكر مثالب

---

(١٦) المرجع السابق : ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ •

(١٧) المرجع السابق ، ٢٣٣ ، ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ط ١٩٦٦ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ج ١ ، ص ٢١٦ •

(١٨) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٢١٦ •

بعض القبائل العربية • وعندما يعـرض ابن عبد ربه حجج الكتـاب الشعوبيين ، ورد الكتاب العـرب عليها ، نجـده لا يعلق على حجج الشعوبيين ، بينما يفند حجج العرب مظهرا ضعفها وتهافتها (١٩) •

وابن القوطية سجل بعض الروايات عن أستاذه محمد بن عمر بن لبابة الذى كان من هذا الصنف الذى تغنى بعظمة المولدين الثـائرين على الامارة الأموية والعرب وعلى الرغم من أنه كان من كبار الفقهاء والحافظين لأخبار الأندلس خلال امارة الأمير عبد الله ، فهو يذكر أن المولدين كانوا يقولون عن الثائر السرنباقى حليف الثائر عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى الثـورة : السرور البـاقى (٢٠) • كما أظهـر ابن لبابة عبد الرحمن بن مروان الجليقى بمظهر من ينذر الأمير محمد أو يتوعده فيرضخ الأمير لمطالبه (٢١) •

كل هذا بلا شك يعكس مشاعر المولدين الساخطين على العـرب وعلى الامارة الأموية فى قرطبة ، التى تمثل سطوة هؤلاء العـرب فى بلاد الأندلس • وأصبح الجو قاتما بين الطرفين وتحول المولدون عن التقارع بالكلام واللسان الى التصاول فى المعارك بحد السـنان ، واندلعت ثـورات المـولدين فى أنحـاء الأندلس ، فتـزعم بنوقسى أو بنو موسى الثورة بمنطقة سرقسطة أو الثغر الأعلى فى شمال شرق

---

(١٩) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ت : أحمـد أمين وآخرين ، ط ١٩٦٢ ، ج ٣ ، ص ٣١٢ — ٤١٢ ، وأحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ •

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٢٣٦ ، ابن حيان : المقتبس ، ت : د• محمود على مكى ، ط دار الكتاب العربى ١٩٧٣ ، ٣٤٤ •

(٢١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، د• أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس ، ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦ •

بلاد الأندلس(٢٢) . وثار بنو مروان الجليقى ، وتزعم ثورتهم عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، حيث خرج ومن معه من المولدين فى الثغر الأدنى واستقلوا بولاية بطليوس فى غرب بلاد الأندلس(٢٣) . وفى المرتفعات الجنوبية ما بين مدينتى رندة غربا ومالقة شرقا ، تزعم عمر بن حفصون أعظم ثورات المولدين على الاطلاق(٢٤) . حتى ان بعض المؤرخين قال عنه : « كبير الثوار بالأندلس على عهد الدولة الأموية المنفسح الأمد الملبس الدولة لباس الكمد »(٢٥) . ووصفه ابن حيان بقوله : « عمر بن حفصون أعلاهم ذكرا فى الباطل ، وأضخمهم فى الخلاف ، وأشدهم سلطانا وأعظمهم كيدا وأبعدهم مدة ، وأخباره لا تحصى »(٢٦) .

---

(٢٢) د. أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٦٨ ،

سرقسطة : بفتح أوله وثانيه ، ثم قاف مضمومة ، وسين مهملة ساكنة ، وطاء مهملة ، بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة ، مبنية على نهر كبير ينبع من جبال القلاع (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ، ٢١٣) .

(٢٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،

بطليوس : بفتحتين ، وسكون اللام ، وياء مضمومة ، وسين مهملة ، وهى مدينة كبيرة من أعمال ماردة على نهر آنة غربى قرطبة (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٤٧) .

(٢٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

رندة : بضم أوله ، وسكون ثانيه ، معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكرنا (المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٣ .)

مالقة : بفتح اللام والقاف ، كلمة عجمية تدل على مدينة بالأندلس من أعمال كورة رية بين الجزيرة الخضراء ومدينة المرية (المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٣ .)

(٢٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، نشرة : أ . لافى . بروفنسال ، ط ١٩٤٣ رباط الفتح ، ص ٢٤ .

(٢٦) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ٩ .

ولم يكن المستعربون أحسن حالا فى المجتمع الأندلسى فى ذلك الوقت من المولدين حيث سرت بينهم فتنة غريبة ، كانت أشبه ما تكون بحركة للاستشهاد . وقوام هذه الحـركة تعصب بعض المسـتعربين لدينهم تعصبا شديدا على الرغم من أنهم كانوا يعيشـون فى كنف الدولة الاسلامية فى بلاد الأندلس يمارسون جميع أنواع العمل الحر ، ويحتلون كثيرا من وظائف الدولة الادارية ، وتجمع فى أيدى بعضهم ثروات ضخمة ، وفى ظل هذه الرعاية التامة لهم من الدولة ، أقبلوا على اللغة العربية وآدابها ، واقتنوا أنفس الكتب ، وحرصوا على قراءتها ، والتلذذ والاستمتاع بها ، وأهملوا قراءة الكتب والمؤلفات اللاتينية(٢٧) . وقد أفزع هذا التحول الكبير الذى طرأ على شباب المستعربين ، نفرا من قساوستهم ، الذين حرصوا على مقاومة هذا الاتجاه لدى المستعربين . وبدأت الفتنة عندما دخل قسيس اسمه برفكتو (Perfecto) فى نقاش مع أحد المسلمين ، ودار النقاش حول فضائل كل من محمـد وعيسى عليهما السلام ، وتطورت المناقشة ، فقد القسـيس صوابه وسـب الاسلام ، وسب الرسول علنا ، فقبض عليه وحكم عليه بالاعدام ، وهو نفس الحكم الذى يحكم به على المسلم اذا ارتكب مثل هذه الأمور ، لأنه فى هذه الحالة يعتبر مرتدا عن الاسـلام(٢٨) . فيـذكر ليفى بروفنسال : « أن القضاء الاسلامى لم يتأخر عن الحكم بالاعدام حتى على أحد الرجال المعروفين من المسلمين لاتهامه بالذندقة والاستخفاف بالدين . وعبثا حاول البعض التأثير على الأمير كى يتدخل فى الأمر ، ويوعز بتخفيف العقوبة ، فان شيئا من ذلك لم يحصل ، ونفذ الحـكم بالرجل فعلا »(٢٩) ويرى دوزى أن السبب فى تطرف هؤلاء النفر من رجال

---

(٢٧) د. الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٢٨) د. العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ١٥٦ ، د. الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ١٩٦ .

(٢٩) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الدين المسيحى فى ذلك الوقت يرجع الى اعتمادهم على مصادر تمدهم بمعلومات ، وأفكار سخيفة خاطئة فيما يتعلق بأتباع محمـــد من المسلمين(٣٠) .

وعلى الرغم من عدالة المسلمين فى عقوبة هذه الجريمة ســواء ارتكبها مسلم أم مسيحى ، فان الأمر تفاقم بعـد ذلك ، وأذكى نار الفتنة راهبان أحدهما ايلوخيو (Euloqio) والثانى الفارو (Alvaro) ، حيث قاما بدعاية واسعة عمت على أثرها موجة من التعصب الدينى فى البلاد ، فبعد مقتل برفكتو ، انبرى راهب آخر اسمه اسحاق يسب الرسول علنا أمام القاضى كى يحكم عليه بالاعدام ، واتهمه القــاضى بالجنون ، ليخفف عنه الحكم ، ولكن الأمير عبد الرحمن الأوسط أصر على اتباع سياسة الحزم حتى لا يستفحل الأمر ، وفى سنة (٢٣٦هـ/ ٨٥١ م) أعدم اسحاق (٣١) . واشتركت النساء أيضا فى هذه الحركة، ومن أمثلة ذلك فتاة صغيرة اسمها فلورا (Flora) ، وقعت تحت تأثير الراهب ايلوخيو وأصحابه ، وكانت هذه الفتاة من أب مسـلم ، وأم مسيحية ، وعلى الرغم من أنها كانت مسلمة بحكم نشأتها ، فقد اعتنقت المسيحية وهربت من بيت أبيها ، وأقامت عند أسرة مسيحية ، وبحث عنها أخوها ، ولما علم بأمرها اقتادها الى القاضى . وهنـــاك أصرت فلورا على الاستشهاد ، وعلى الرغم من أن القاضى حاول أن يثنيها عن موقفها ، فانها أصرت عليه ، فانتهى أمرها بالاعـدام سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥١ م) .

---

(٣٠) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٣١) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، عبد الحميد العبادى . المجمل فى تاريخ الأندلس ، ط ثانية ، ١٩٦٤ ، ص ٩٩ ، العبـــادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥٦ .

(٣٢) المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

ضج الكثيرون من المسيحيين المعتـدلين في جميـع الأندلس من هذه الحركة ، واستنكروها ، وأبلغوا قرار الاستنكار هذا للاميــر عبد الرحمن الأوسط . الذى بادر الى عقد مجمع دينى ترأسه ريـكا فريدو (Recafredo) مطران اشـبيلية ، وكان ذلك فى سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١ م) ومثل حكومة قرطبة فى هذا الاجتماع أحـد موظفى الدولة واسمه جومز بن أنطونيو (Gomez Antonio) (٣٣) . « وبعد مناقشات دامت عدة أيام اتخذ المجتمعون قرارا بحظر الاقدام على تلك الأعمال والتلفظ بتلك الأقوال النابية فى حق الدين الاسلامى ، واعتبـار من يقوم بها مسئولا عن عمله ومخالفا لتعاليم الكنيسة »(٣٤) .

أصر ايلوخيو على موقفه ، وكان يرى أن قرار المجمـع الكنسى ليس الا ثمرة الحرص والخوف ، فاعتقلت الحكومة هـــذا الراهب وأتباعه . ولكن لم يحل هذا الاجراء دون استمرار الفتن الدينيـة ، فاقتحم عدد من هؤلاء المتطرفين مسجد قرطبة ، أخذوا يسبون الاسلام فيه ، فقبض عليهم ، وحكم عليهم جميعا بالموت فى سنة (٢٣٨هـ/ ٨٥٢ م) . وفى نفس السنة مات عبد الرحمن الأوسط ، فاعتقد هؤلاء المتطرفون أن ذلك انتقام الهى(٣٥) .

واستمرت حركة التطرف الدينى هذه خلال عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن ، الذى أراد أن يبدأ صفحة جديدة مع زعمـاء التطرف المسيحيين ، فأطلق سراح ايلوخيو وعينه أسقفا على مدينة طليطلة ، فهدأت الفتنة قليلا ولا سيما فى قرطبة . ولكن ايلوخيو ما لبث أن عاد الى قرطبة ، ليمارس التطرف من جديد ، فقبض عليه وأعدم سـنة

---

(٣٣) د. العبادى : فى تاريخ المغـرب والأنـدلس ، ص ١٥٧ ، عبد الحميد العبادى : المجمل فى تاريخ الأندلس ، ص ١٠٠ .

(٣٤) د. الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ٩٩ .

(٣٥) د. العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢٤٥ هـ/٨٥٩ م)(٣٦) • ومما لا شك فيه أن عمر بن حفصون الذى ظهر ثائرا فى عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن ، استفاد كثيرا من أحداث هذه الفتنة ، التى أحدثت ثغرة كبيرة فى نفوس المسلمين والمسيحيين خاصة اذا علمنا أن عمر بن حفصون حاول فى الفترة الأخيرة من صراعه مع الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥هـ/٨٨٨ م — ٣٠٠هـ/١٩١٢ م) استغلال هذه الأحداث فى صالحه ، فارتد عن الاسلام واعتنق المسيحية(٣٧) •

وكانت أحوال التجمعات العربية التى تدخل ضمن التكوين الشعبى لبلاد الأندلس ، تنذر هى الأخرى بكثير من المخاطر فى هذه الفترة من عصر الامارة حيث خرجت بعض هذه التجمعات على السلطة المركزية فى قرطبة ، وكونت لنفسها امارات مستقلة (٣٨) لذلك نرى قرطبة اضطرت فى كثير من الأوقات الى الاقرار والاعتراف بسلطة هذه التجمعات على ما بأيديها من أنحاء ومن أمثلتهم : بنو حجاج فى اشبيلية، وكانوا عربا يمنية من لخم ، وكانت اشبيلية محورا لكثير من التجمعات العربية من البيوتات العريقة التى تمتاز بالثراء والعصبية • وفى

---

(٣٦) د. العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٥٨ ، طليطلة : هكذا ضبطه الحميدى بضم الطاءين ، وفتح اللامين ، وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية . وهى مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادى الحجارة . وهى تقع على نهر تاجه ، وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للفارس ، (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٩ ، ٤٠ ،) •

(٣٧) ابن حيان : المقتبس ، ت ملشور ، ص ١٢٨ •

(٣٨) المرجع السابق ، ص ١٦٩ •

(٣٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٤ — ٢٩٦ ، عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، القسم الأول ، ص ٣٢٨ •

منطقة الجزيرة والجنوب كانت هناك الامارة العربية التى كونها الأمير العربى سعيد بن جودى فى البيرة وغرناطة ، ومن بعده سوار بن حمدون القيسى ، الذى وسع نفوذ القبائل العربية حتى قلعة رباح فى الشمال (٤٠) • وقد خاضت هذه القبائل العربية — فى الجزيرة والجنوب الأندلسى — صراعا مريرا مع عمر بن حفصون ، وكان جهد هذه القبائل العربية سببا فى أن ثورة عمر بن حفصون لم تتمكن من تحقيق أهدافها فى الاحاطة بحكم العرب فى اسبانيا ، واحلال المولدين فى الحكم مكانهم •

ويرى بعض المؤرخين أن سياسة اصطفاء الموالى التى جرى عليها بنو أمية فى الأندلس فى بداية أمرهم ، قد أخذت تحدث أثرها فى نفوس القبائل العربية ، ورأت هذه القبائل فى سياسة حكومة قرطبة نوعا من الطغيان والمهانة ، ولذلك وجدت هذه القبائل فى فتن المولدين فرصة للانتصاف لعصبيتها وكرامتها(٤١) • وعلى الرغم من ذلك ، لم تستطع القبائل العربية الا أن تنبذ عصبيتها كى تدافع عن نفسها لأنها لم تجد بدا من الدخول فى الصراع مع حركة المولدين ، ومن

---

(٤٠) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٣٣ — ١٣٦ ، ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ٥٥ ، (غرناطة : بفتح أوله ، وسكون ثانية ، ثم نون ، وبعد الألف طاء مهملة ، ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس ، وهى أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس ، وأعظمها وأحسنها ، وبينها وبين البيرة أربعة فراسخ وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا ، (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٩٥ •) •

قلعة رباح : مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة : وتقع فى غربها ، ولها عدة قرى ونواحى تسمى الأجزاء ، منها جزء البكريين ، وجزء اللخميين ، (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٣) •

(٤١) عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، القسم الأول ، ص ٣٢٨ •

انضم اليهم من أهل الذمة من المستعربين بعد أن تعاظم حجمها بظهور شخصية عمر بن حفصون(٤٢)•ويلاحظ أن العصبية العربية تكتلت للدفاع عن نفسها فى مركزين : أولهما فى البيرة ، وفى هذا المركز تجمع عرب الجزيرة الخضراء وجيان ، وجميع العرب الذين يعيشون الى الشمال من هاتين المنطقتين حتى قلعة رباح حيث تعيش قبائل بكر بن وائل • وثانى المركزين كان فى اشبيلية وما حولها • وتميز المركز الأول للعصبية العربية فى البيرة ، بتركيز عدائه ضد المولدين ، وعدم معاداته للامير فى قرطبة ، وربما كان ذلك لشعورهم بالتفوق العددى للمولدين، ووعورة المنطقة ، ولظهور شخصية عمر بن حفصون كقيادة جديدة للمولدين فى هذه الآونة • أما العرب فى المركز الثانى فى اشبيلية وما حولها ، فقد أحسوا بكثير من الأمن لأنهم — على الرغم من قلة عددهم بالنسبة للمولدين — شعروا بقدرتهم على مقاومتهم لعدم وعورة المنطقة ، ومن ثم تركز عداؤهم على الامارة الأموية فى قرطبة، لأن كريب بن خلدون — الذى كان زعيما للعرب فى هذا المركز — كان يضمر للقرشيين وللأمويين فى قرطبة عداء كبيرا • ولكن الظاهر أن المولدين فى كلا المركزين كان عداؤهم للامارة الأموية وللعرب عداء صارخا •

---

(٤٢) د• أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس ، ص ٢٣٨ ، ومن الشعر الذى ردده الشعراء حول وحدة عنصرى العصبية العربية فى مواجهة المولدين قول الشاعر :

بها من بنى عدنان فتيان غارة ... ومن آل قحطان كمثل الأجادل

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ،

(الجزيرة الخضراء : مدينة أعمالها متصلة بأعمال شذونة ، وهى تقابل من بلاد البربر فى العدوة المغربية سبتة ، وبين الجزيرة الخضراء وقرطبة خمسة وخمسون فرسخا ، وتقع على نهر برباط ، (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٣٦ •) •

أما البربر فكانوا أكثر من العــرب عددا ، وأشد ، ســخطا على أمراء بنى أمية ، ولذلك استغلوا هذه الظروف السيئة التى تمر بهــا البلاد ، فشقوا عصا الطاعة ، فاستقلت أسرة ذى النون بن ســليمان الهوارى بمدينة شنتبريه — فى جنوب شرق وادى الحجارة — وما حولها ، ومدوا نفوذهم حتى طليطلة ، وأصبحت هذه الأسرة تمثـــل مظهرا من مظاهر العنف والقسوة والتدمير فعاثت فى الأندلس فسادا تحرق وتنسف وتدمر وتنهب ، وتحكم مافى حوزتها بالسيف والنار(٤٤). ومن الأسر البربرية أيضا بنو الملاخ الذين استقلوا بمدينة جيان(٤٥) .

تلك هى الحالة التى كانت عليها القوى الاجتماعيــة فى بــلاد الأندلس زمن الأمراء الأمويين قبيل ثورة عمر بن حفصون فى نهــاية عصر الامارة ، وهى أحوال فى جملتها ساعدت وهيأت ظروفا مناســبة لظهور شخصية عمر بن حفصون واعتلائه موجة الخلاف والثورة .

---

(٤٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، عبد الحميــد العبادى : المجمل فى تاريخ الأندلس ، ص ١٠٦ ،

شنتبريه : رسمها ياقوت شنت برية وقال : « الشطر الأول أظنها لفظــة يعنى بها البلدة أو الناحية ، لأنها تضاف الى عدة أسماء ... ثم باء موحدة مفتوحة وراء مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة مدينة متصلة بحوز مدينة سالم بالأندلس وهى شرقى قرطبة ، وهى مدينة لبدة بينها وبين قرطبة ثمانون فرسخا » ، أنظر (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٦٦ .) .

(٤٥ المرجع السابق ، نفس الصفحة ، د. العبــادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٦٩ .

الفصل الثالث

الثـــــورة



كانت منطقة رية والجزيرة ــ التى اندلعت فيها ثورة عمر بن حفصون سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م) تشهد اضطرابات ضخمة منذ سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م) ، حيث تأججت فى المنطقة ثورة شعبية ضد عمال الامارة الأموية ، الذين تعسفوا فى جباية بقايا العشور المتأخرة على الأهالى(١) • وقد ذكر ابن حيان فى نص صريح له أن هذه الثورة كانت مقدمة لثورة عمر بن حفصون حيث قال : « فكانت ثورتهم هذه مقدمة فتنة عمر بن حفصون التى طمت على جميع فتن الأندلس »(٢)•

ويلاحظ أن هذه الثورة كانت تشتمل على تجمعات ثائرة من المولدين فى مناطق الجبال دون أن تكون هناك قيادة تحرك هؤلاء الثوار نحو هدف معين ، وصادف ذلك عودة عمر بن حفصون من تاهرت، وتمكنه من الحصول على أربعين رجلا ، انضم بهم الى هؤلاء الثوار ، وتزعم حركتهم ، وتمكن من فرض سلطانه على جبل ببشتر (٣) • وعند ابن خلدون اشارة الى أن عمر بن حفصون قام ببناء قلعة ضخمة على

---

(١) النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط ، ورقة ٢٧ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ط بيروت ١٩٦٥ ، ج ٧ ، ص ٣٦١ ، عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، القسم الأول ، ص ٣٠٨ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ، ت : د• محمود على مكى ، ص ٣٩٣ .

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٤ ، ٣٥ ،

ببشتر : هكذا ذكر ابن القوطية ، وابن حيان اسم هذا الجبل ، الذى ثار فيه عمر بن حفصون ، وابن خلدون قال : انه (يشتر) ، أما ابن عذارى ، فيروى أن اسمه (بربشتر) ، ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٠٨ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ ، ابن عذارى : البيان المغربى ، ج ٢ ، ص ١٠٦ •) .

هذا الجبل ، وهى القلعة التى اشتهرت عند المؤرخين بنفس اسم هذا الجبل وعرفت بحصن ببشتر (٤) • وكان اختيار موضع بناء هذه القلعة ممتازا من الناحية العسكرية ، حيث كانت عاملا هاما من عوامل نجاح ثورة عمر بن حفصون وصلابتها والمحافظة عليها فى حالات الهزيمة • اذ كان عمر بن حفصون يبادر فى ذلك الوقت الى الانكماش داخل هذه القلعة الحصينة ، التى وصفها صاحب الروض المعطار بأنها كانت « حصنا تزل عنه الأبصار فكيف الأقدام »(٥) وقال عنها ابن عذارى : « هى أمنع قلاع الأندلس قاطبة »(٦) •

فقد كانت القلعة فى منطقة موغلة داخل الجبال ، ولا يمكن الوصول اليها الا عبر خوانق ومضايق جبلية غاية فى الوعورة ، حيث لا يسمح بعض هذه الخوانق بمرور أكثر من اثنين أو ثلاثة معا(٧) • أما القلعة نفسها ، فكانت على صخرة ضخمة عالية تنحدر انحدارا عموديا ، بحيث لا يمكن الوصول اليها الا من خلال ممرين يوصل اليهما من خلال شعب ، لا يستطيع أن يسلكها الا راجل واحد خفيف (٨) •

وكان ظهور قيادة عمر بن حفصون وزعامته فى منطقة رية ، وتاكرنا ، والجزيرة ، وتمركزه فى منطقة حصن أو قلعة ببشتر سبيلا الى ظهور قيادات مولدية أخرى ، فثار بثورة عمر بن حفصون كما يقول ابن القوطية ، لب بن مندريل ، وزعيم مولدى آخر يعرف بابن أبى الشعرا فى منطقة جبال الجزيرة(٩) •

---

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٢ •

(٥) الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ت : أليفى • بروفنسال ، ط القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٣٧ •

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٦ •

(٧) ابن حيان : المقتبس ، ت ملشور ، ص ٩٩ •

(٨) د • أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس ، ص ٢٤٣ •

(٩) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٢ •

واكتفى الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨هـ/٨٥٢م — ٢٧٣هـ/٨٨٦م) ، باصدار أوامره لعامر بن عامر عامله على كورة رية ، لاخماد ثورة عمر بن حفصون ، ومن سوء حظ الامارة الأموية أنها لم تقدر قوة الثائر عمر بن حفصون ، ففوجيء الأمير محمد بانهزام عامر بن عامر أمام عمر بن حفصون ، وتمكن هذا الأخير من الاستيلاء على قبة القيادة ، التى كانت مع عامر ، فكانت هذه القبة هى أول رواق ضربه عمر بن حفصون لنفسه ، وقد أضفى ذلك عليه كثيرا من المهابة بين المولدين ، الذين سارعوا الى الانضمام اليه مما وسع من نطاق الثورة ، فاستكن اليه كثير من أهل الشر على حد قول ابن عذارى(١٠) •

عزل الأمير محمد عامر بن عامر عن كورة رية ، وولى مكانه عبد العزيز بن عباس ، الذى سلك مع الثوار مسلكا طيبا ، اذ عمد الى الصلح مع عمر بن حفصون ، وعقد هدنة معه ، ساد على أثرها فى المنطقة جو من الاستقرار والهدوء(١١) •

ويبدو أن تلك السياسة لم تعجب الأمير محمدا فبادر الى عزل عبد العزيز بن عباس ، واعتبر عمر بن حفصون ذلك التطور من جانب الامارة رفضا للصلح ، فعاد الى ما كان عليه من الثورة(١٢) • وفى سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م) أرسل الأمير محمد بن عبد الرحمن وزيره هاشم بن عبد العزيز فى قوة ضخمة الى عمر بن حفصون ، تمكنت من استنزاله من قلعته ، ويبدو أن ذلك ، تم بعد مفاوضات بين الطرفين ، ذهب على أثرها عمر بن حفصون مع هاشم بن عبد العزيز الى

---

(١٠) ابن خلدون : العبر ج ٤ ، ص ٢٨٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٤ •

(١١) نفس المصدرين السابقين ، ونفس الصفحات •

(١٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٤ •

قرطبة(١٣) • حيث استقبله الأمير محمد استقبالا حافلا ، وأوسع له فى الاكرام ، كما يقول ابن عذارى(١٤) • وضمه الى الحشم كما يذكر ابن القوطية (١٥) • والحقه بالجيش ، فأصبح ضابطا فيه ، لما لمسه من البراعة وقوة المراس(١٦) •

وفى سنة (٢٧١هـ/٨٨٤م) خرج عمر بن حفصون مع جيش الامارة — الذى كان بقيادة هاشم بن عبد العزيز — متوجها الى الثغر الأعلى ، وتمكن هاشم من الاستيلاء على سرقطة • وقد أبلى عمر بن حفصون فى هذه الحرب بلاء حسنا(١٧) • ويرى ابن القوطية أن بعض الشيوخ من أهل الثغر الأعلى — ويبدو أنه من المولدين — عرف عمر بن حفصون « فدنا اليه فقال له : ارجع الى حصنك الذى نزلت منه فليس ينزلك منه الا الموت وستملك من الأندلس قطيعا عظيما وستحارب قرطبة على بابها(١٨) • وصادف ذلك معاملة سيئة من جانب بعض رجالات العرب الذين أظهروا الاستعلاء على عمر بن حفصون ، عندما عاد الى قرطبة ، ومن هؤلاء والى المدينة محمد بن وليد بن غانم الذى كان يحرص كل الحرص على الاساءة الى خاصة هاشم بن عبد العزيز

---

(١٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،
Scott, op. cit., V.I. p. 522.

(١٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٠٥ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٣٥ •

(١٥) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٢ •

(١٦) عنان دولة الاسلام فى الأندلس ، القسم الأول ، ص ٣٠٩ ،
Scott, op. cit., V.I. p. 522.

(١٧) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٨٧ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص ٤١٦ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٢ •

(١٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة •

ومن بينهم عمر بن حفصون ، « فأخرج (محمد بن الوليد) ابن حفصون من نزالة الى نزالة ، وأمر الهرابين أن يعطوه من شر الأطعمة فحدث أحمد بن مسلمة قال : أخبرنى عمر بن حفصون قال : أخذت من الخبز المعمول من ذلك الطعام ، فتصديت به الى ابن غانم صاحب المدينة ، فقلت له : يرحمك الله يمكن أن يعاش من هذا ؟ قال : (ابن حفصون)، فقال لى : (ابن غانم) من أنت يا شيطان ؟ فانصرفت عنه ولقيت هاشما سايرا الى القصر فأعلمته فقال لى : جهلك القوم عرفهم بنفسك ، فانصرفت الى أصحابى فقصصت عليهم كل ذلك وخرجت عن قرطبة يومى ذلك »(١٩) .

وأثبتت هذه التطورات عجز حكومة قرطبة وممثليها — كهاشم ابن عبد العزيز وغيره من رجالات العرب — عن تألف هذه الشخصيات الخطيرة من الثوار المولدين ، وهذا أمر كان غاية فى الخطورة ، اذ جر على الامارة كثيرا من المتاعب امتدت لسنوات طويلة(٢٠) .

هرب عمر حفصون ، وعاد الى جبل ببشتر مرة ثانية ، ورواية ابن القوطية ، تذكر أنه ذهب الى عمه مرة ثانية ، فأمده بعدد من الأحداث،

---

(١٩) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٣ .

(٢٠) ومما نذكره فى هذاالشأن أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتألف جبابرة العرب ، وأفاد ذلك الاسلام كثيرا ، اذ انتشر الاسلام بفضل هذه الشخصيات ، فى كثير من بقاع الجزيرة العربية . ويذكرنا مسلك حكومة قرطبة وممثليها مع عمر بن حفصون بمسلك عقبة بن نافع مع كسيلة الأوربى زعيم قبيلة أوربة البرنسية ، حيث كان عقبة يحرص على ارغام كسيلة على سلخ الغنم اذا ذبحت لمطبخه ، وأدى ذلك الى نفور كسيلة من الاسلام ، والتآمر مع البيزنطيين ، وقتل عقبة بن نافع عند تهوذة وخسر المسلمون من جراء هذه السياسة جهودا عظيمة لهذا القائد أنظر ، ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٩٩ ، د. العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٤٣ ، د. الحريرى : مقدمات البناء السياسى للمغرب العربى ، ص ١٩ — ٢٢ .

علاوة على ما كان معه من المتمردين ، وتمكن عمر بن حفصون بهذه القوة الصغيرة من طرد التجوبى — عامل بنى أمية على الجبل — وانتزع منه جاريته ، وأخذها لنفسه ، وهى التى سينجب منها بعد ذلك ولده المكنى بأبى سليمان(٢١) • وتمكن عمر بن حفصون خلال فترة قصيرة أن يبسط نفوذه على المنطقة الممتدة ما بين الجزيرة وتدمير• ويبدو أن عمر بن حفصون بعد تجربته فى التعاون مع الامارة الأموية، وفشل هذه التجربة ، اقتنع أن السبيل الوحيد لضمان علاقة متوازنة بين المولدين من ناحية ، وبين العرب الحاكمين من ناحية أخرى ، هو سبيل الثورة كما حدث فى بلاد المغرب •

وهنا يظهر تأثير الأحداث المغربية فى بلاد الأندلس — وبخاصة فى المناطق الجنوبية المواجهة لبلاد المغرب — من خلال شخصية عمر بن حفصون ، وتفاعلها مع هذه الأحداث • ومعروف أن عمر بن حفصون عاش فترة فى تاهرت عاصمة الدولة الرستمية ، وكان قيام هذه الدولة ولا شك ، يمثل تجربة فريدة أمامه فى بلاد المغرب ، فقد كان قيام هذه الدولة انتصارا ضخما لثورة كبيرة على ممثلى الخلافة فى بلاد المغرب ، قام بها عبد الرحمن بن رستم — وهو رجل من الموالى فارسى الأصل — متزعما الخوارج الاباضية المغاربة ثائرين على الولاة العباسيين ، ومن قبلهم ولاة بنى أمية لأسباب ذكرها المؤرخون ، وهى أسباب تكاد تتشابه مع نفس الأسباب التى ثار من أجلها المولدون فى الأندلس • وهذا يعنى أن سياسة العرب سواء كانوا على المستوى الرسمى كعمال للدولة ، أم على المستوى الشعبى كمواطنين فى المجتمع الاسلامى الجديد فى بلاد الأندلس ، لم تتغير فى أسلوبها مع أهالى

---

(٢١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٧، دون تفصيل فى الرواية •

البلاد الأصليين فى اسبانيا ، حيث كان كثير من رجالاتهم يغرق فى التعالى على المولدين — كما ذكرنا قبل ذلك — مما أوغر صدور هؤلاء على العرب عامة ، ولهذا أصبح الفكر الاباضى الخارجى المنتصر فى بلاد المغرب نموذجا لانتصار الثورة على ممثلى الادارة العربية الجائرين ، وعلى تعصب بعض العرب ضد المحليين من أهالى البلاد ، وقد يكون عمر بن حفصون قد تأثر فعلا بعض الشىء بالفكر الاباضى الخارجى ، حيث كان من بين قواعده الراسخة ، جواز تولى رئاسة الدولة للافراد من غير العرب ، بانتخاب عام يشترك فيه أفراد الشعب، وهذه القاعدة بطبيعة الحال يمكن أن تؤثر فى شخصية كشخصية عمر ابن حفصون ، وهى شخصية درجت على حب الزعامة كما أسلفنا .

واذا كانت المصادر التى بين أيدينا ، لا تسعفنا بمادة واضحة عن مثل هذا التأثير ، فان اقامة عمر بن حفصون فى تاهرت ، قد تسمح لنا بهذا الفهم ، وعلاوة على ذلك فقد سرى الفكر الاباضى الى بلاد الأندلس ، بحكم العلاقات القوية بين الدولة الرستمية وبلاد الأندلس فى تلك الفترة ، حتى ان هذه الأفكار اقتحمت عقول أبناء الوزير هاشم ابن عبد العزيز الذى قام بمقاومة ثورة عمر بن حفصون . فكان أحد المعلمين بقرطبة ، وهو جابر بن غيث اللبلى (ت سنة ٢٩٩هـ/٩١١م) يعلم ابنى الوزير وكان هذا المعلم كثير التشدد حتى انه كان فى صرامته يقارب الاباضية(٢٢) .

وقد كان عمر بن حفصون يقوم فعلا فى المنطقة التى ثار فيها بدور الزعامة ، التى تسعى الى تطوير الثورة لتأسيس دولة تكون السلطة فيها للمولدين بزعامته . وهذا يؤكد الأثر المغربى فى ثورته ،

---

(٢٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ص ١٠٢ ، د. محمود على مكى : الخوارج فى الأندلس ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الأول — ١٩٥٦ ، ص ١٧٥ .

فكان فى خطبه يحرص على اثارة مشاعر المولدين بما قام به العرب من انتزاع أموالهم واذلالهم ، وتحميلهم ما فوق طاقتهم ، ويؤكد لهم أن هدفه هو الثأر لهم واخراجهم من عبوديتهم(٢٣) • حتى انه كان يسمى نفسه « نصير الحرية »(٢٤) •

وحرص عمر بن حفصون على الاحتفاظ بعدد كبير من شطار الناس وشرارهم ، لما يمكن أن يقوموا به من مساعدات عظيمة له فى هذه البيئة المحفوفة بالأخطار والمكاره ، وهؤلاء عرف ابن حفصون ما يرضيهم فكان يمنيهم بفتح البلاد وغنائم الأموال كما يقول ابن عذارى(٢٥) • وقد حقق ابن حفصون لهذه الفئة الكثير من الفوائد •

علاوة على ذلك تمتع عمر بن حفصون بشخصية قوية جذابة ، يروى ابن عذارى أنه كان : « متحببا لأصحابه متواضعا لألافه ، وكان مع شره وفسقه ، شديد الغيرة حافظا للحرمة ، فكان ذلك مما يميل النفوس اليه ، ولقد كانت المرأة فى أيامه تجىء بالمال والمتاع من بلد الى بلد منفردة لا يعترضها أحد من خلق الله • وكانت عقوبته السيف ، يصدق المرأة والرجل والصبى ، أو من كان على من كان ، لا يطلب على ذلك شاهدا أكثر من الشكوى • وكان يأخذ الحق من ابنه ، ويبر الرجال ، ويكرم الشجعان ، واذا قدر عفا عنهم »(٢٦) • وهذه صفات هيأت له الزعامة بسهولة على بنى جلدته من المولدين(٢٧) •

ومما ساعد على استفحال أمر عمر بن حفصون فى تلك الفترة أن

---

(٢٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٤ •

(24) Scott, op. cit., V.I. p. 523.

(٢٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة •

(٢٦) المصدر السابق ، ص ١١٤ ، ١١٥ •

(27) Scott, op. cit., V.I. p. 524.

حكومة قرطبة لم تعط لحركته فى ببشتر الاهتمام الكافى للقضاء عليها، فمنذ أن فر ابن حفصون من قرطبة سنة (٢٧١هـ/٨٨٤م) ، لم يفكر الأمير محمد بن عبد الرحمن فى ارسال أية حملات لمقاومته الا فى سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م) • وكانت اهتمامات الأمير محمد خلال هذه الفترة موجهة الى متابعة ارسال الصوائف الى جليقية (٢٨) • والى

---

(٢٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ص ١٠٩ ،

جليقية : بكسرتين واللام مشددة ، وياء ساكنة ، وقاف مكسورة ، وياء مشددة وهاء . ناحية قرب ساحل البحر المحيط شمالى الأندلس فى أقصاه من جهة الغرب ، (ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٥٧) ، وعند ابن عذارى احصائية باحدى هذه الصوائف تعكس اهتمام الأمير محمد بن عبد الرحمن بالصوائف ، ويقظته ضد أعداء دولته من النصارى فى الشمال . يقول ابن عذارى نقلا عن ابن حيان : « كانت عدة الفرسان المستنفرين لغزو الصائفة المجردة الى جليقية فى مدة الأمير محمد مع الولد عبد الرحمن ابنه على هذه التسمية المفصلة . من ذلك كورة البيرة : ألفان وتسعمائة ، جيان : الفان ومائتان ، قبرة : الفان وثمانمائة ، باغة : تسعمائة ، تاكرنا : مائتان وتسعة وتسعون ، الجزيرة : مائتان وتسعون ، استجة : ألف ومائتان ، قرمونة : مائة وخمسة وثمانون ، شذونة : ستة آلاف وسبعمائة وتسعون ، رية : ألفان وستمائة : فحص البلوط : أربعمائة ، مورور : ألف وأربعمائة ، تدمير ، مائة وستة وخمسون ، ربينة : مائة وستة ، قلعة رباح وأوريط : ثلاثمائة وسبعة وثمانون ... ونفر من أهل قرطبة لهذه الغزوة عدد لم يوقف على قدره » . ومن خلال هذا النص ، يظهر ضعف الأعداد التى خرجت الى هذه الصائفة من المناطق التى كان يسيطر عليها عمر بن حفصون مثل تاكرنا ، والجزيرة وتدمير ، المصدر السابق ، نفس الصفحة .

الثغر الأعلى ، فى سرقسطة ، والى طليطلة أيضا(٢٩) • لخطــــورة الوضع العسكرى هناك فى ذلك الوقت ، حيث كانت الامارة الأموية تعانى اذ ذاك من ثورات المولدين فى الشمال ، ومن ضغط الدويلات الاسبانية فى الشمال ، فى محاولاتها المستميتة للتوسع على حســـاب المسلمين هناك •

تحرك الأمير المنذر بن محمد فى سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م) الى كورة رية ، ومعه القائد محمد بن جهور ، ورأى الأمير المنذر ضرورة مهاجمة حلفاء عمر بن حفصون أولا وتطهير المنطقة منهم ثم التفرغ بعد ذلك لعمر بن حفصون(٣٠) • لذلك اتجه المنذر بالجيش صوب مدينة الحامة للقاء الحارث بن حمدون — أقوى حلفاء عمر بن حفصون — ولم يترك ابن حفصون حليفه يلقى مصيره أمام جيوش الامارة فسارع لنجدته ، وانضم اليه فى الحامة ، التى ضرب عليها الحصار طيلة شهرين كاملين، ضاق خلالهما ابن حفصون وحليفه من شدة الحصار ، ونفاد المؤن ، ولذلك قررا الخروج لملاقاة جيش المنذر ، فهزم ابن حفصون وحليفـــه واثخنته الجراح وشلت يده كما يروى ابن عذارى(٣١) • وأرتدا ثانية الى الحامة ليقعا فى الحصار من جـــديد • وفى تلك الأثنـــاء وصلت للامير المنذر الأخبار بوفاة والده الأمير محمد بن عبد الرحمن(٣٢) •

---

(٢٩) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب مخطوط ورقة ٢٥ ، ٢٦ ، د . الصـــوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ٢٦٧ •

(٣٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٣١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، عنان : دولة الاســـلام فى الأندلس ، القسم الأول ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٣٢) المصدر السابق نفس الصفحة ،

Gayangos, B., The History of the Mohammedan Dynasties in Spain, V. II. p. 130.

فاضطر المنذر لرفع الحصار ، والعودة فورا الى قرطبة حيث شيع والده الى مثواه الأخير ، واعتلى عرش الامارة مكان أبيه فى ربيع الأول سنة (٢٧٣هـ/٨٨٦م) (٣٣) •

استغل عمر بن حفصون هذه الأحداث الجديدة لتوسيع رقعة نفوذه ، ومد سلطان ثورته الى مناطق أخرى ، فبسط نفوذه على كورة رية بأكملها ، وامتد سلطانه الى أرشدونة ومالقة وجيان واستجة ، وأصبحت هذه المناطق ملاذا لكثير من الثائرين والخارجين فى بلاد الأندلس • ولم يتوقف عند هذا الحد ، فاستمر فى زحفه الى المنطقة الوسطى فاستولى على مدينة باغة ومدينة قبره فى جنوبى غرب جيان ، كما ضم اليه أحد الحصون الهامة فى المنطقة وهو حصن آشر (٣٤) •

---

(٣٣) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٤٩ النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط ، ورقة ٢٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ت : أحمد أمين ، آخرين ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ ،
Gayangos, op. cit., V. II. p. 130.

(٣٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٤ ،
Scott, op. cit., V. I. p. 534.

أرشذونة : بالضم ثم السكون ، وضم الشين المعجمة والذال المعجمة والذال المعجمة ، وواو ساكنة ونون ، وهاء ، مدينة فى الأندلس معدودة فى أعمال رية قبلى قرطبة بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا ، (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٥٢ •) ،

استجة : بالكسر ثم السكون ، وكسر التاء فوقها نقطتان ، وجيم ، وهاء، اسم لكورة بالأندلس متصلة بأعمال رية بين القبلة والمغرب من قرطبة ، وهى كورة قديمة بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ، وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة الى الجنوب الغربى منها على بعد خمسين كيلو مترا ، (المصدر السابق ، ج ١ ، ١٧٤ ، ابن حيان : المقتبس ، ت : د. محمود على مكى ، هامش ص ٤٢٥ •) ،

وخلال فترة وجيزة تمكن ابن حفصون من احكام قبضـته على المنطقة الممتدة ما بين جيان ، واستجة غربا ، ومالقة على ساحل البحر المتوسط شرقا . ورأى الأمير المنذر أن تصاعد عمليات عمر بن حفصون على هذا النحو خطر كبير على الامارة ، حيث باتت قواته على مقربة من العاصمة قرطبة . ولذلك رأى أن يبدأ بالاستيلاء على المراكز الحيوية فى المنطقة الوسطى ، ما بين جيان واستجة ، ليشق طريقه بالقـوة الرئيسية نحو رية ، دون أن يضيع جهده فى معارك جانبية مع هـذه المراكز ، فأرسل ثلاثة من قواده ، هم أصبغ بن فطيس ، الذى استعاد آشر ، وعبد الله بن محمد بن مضر ، وأبدون ، اللذين اسـتوليا على مدينة لجانة ، من أعمال قبرة ، وكانت بها مسلحة قوية لعمر بن حفصون كما يذكر ابن عذارى(٣٥) .

زحف المنذر بعد ذلك فى سنة (٢٧٤هـ/٨٨٧م) للقضاء على الثورة فى الجنوب ، فافتتح جميع الحصون والقلاع التى يسيطر عليها عمر بن حفصون فى رية ، وقبرة ، وضرب الحصار فترة حول حصن ببشتر ، لتضييق الخناق على عمر بن حفصون ، وقام بافساد كل مظاهر الحياة فى المنطقة ، التى من شأنها تقوية الثوار . وبعد ذلك توجه صـوب أرشدونة ، فتمكن من السيطرة عليها ، والقبض على عيشون عامل عمر

باغـة : مدينة بالأندلس من كورة البيرة ، وهى فى قبلى قرطبـة ، منحرفة عنها يسيرا ، وبين باغة وقرطبة خمسون ميـلا ، (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٢٦) .

قبـرة : بلفظ تأنيث القبر ، وهى كورة من أعمال الأندلس فى شـمال غرب غرناطة ، تتصل بأعمال قرطبة من قبلها ، وقصـبتها مدينة بيانة (المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ت : محمد عبد الله عنان ، ج ١ ، ط دار المعارف ، هامش ص ١١٧) .

(٣٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

ابن حفصون على المدينة وقتله(٣٦) . كما طهر المنطقة من أعوان ابن حفصون كبنى مطروح ، الذين أرسلوا الى قرطبة حيث قتلوا وصلبوا هناك ، الى جانب عيشون الذى صلب والى جانبه خنزير وكلب (٣٧) .

عاود المنذر حصار قلاع ببشتر ، وشدد فى حصارها تشديدا لجأ معه عمر بن حفصون الى الخديعة والمكر ، لفض هذا الحصار ، ولو لفترة قصيرة يلتقط فيها أنفاسه ويحصل على مزيد من المؤن من المنطقة، فأظهر كما يقول ابن عذارى : « الانابة الى الطاعة ... على أن يكون عند الأمير من خاصة جنده ، ويسكن قرطبة بأهله وولده ، وأن يكون أبناؤه فى الموالى ... فأجابه الأمير الى مطلبه بأكيد الايمان ، وكتب له بذلك مبادرا عقد أمان ، وقطع لأولاده أرفع الثياب ، وأوقرت لهم الدواب بالأموال والأسباب ، اسباغا عليهم بالأفضال ، وتوسيعا لهم فى الأمانى والآمال »(٣٨) . وعلاوة على ذلك طلب ابن حفصون من

---

(٣٦) ابن خلدون : العبر، ج ٢، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(٣٧) المصدر السابق ، نفس الصفحات ، (كان عيشون هذا يستشعر عجز الامارة عن النيل من المولدين ، وقد ظهر ذلك على لسان عيشون ، الذى كان يقول : « اذا ظفر بى (يقصد المنذر) فليصلبنى وليصلب عن يمينى خنزيرا وعن يسارى كلبا » وكان « يثق بنفسه فى القتال ثقة شديدة، ويأمن من أن يؤخذ لشدته وشجاعته ، فلما يئس الأمير منه ، دس الى بعض أهل أرشذونة بأن يتحيل فى أخذ عيشون ، فأجابه ، ووعده بأخذه. فلما كان فى بعض الأيام دخل بيت أحدهم بغير سلاح ، وقد استعد له بكبل ، فأوثق به وبعث به الى الأمير المنذر ، المصدر السابق ، ص ١١٧) .

(٣٨) المصدر السابق ، ج ٢ ص ١١٧ ، ١١٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط ، ورقة ٢٨ ، مع خلاف فى اللفظ .

الأمير المنذر مائة بغل يحمل عليها متاعه وعياله ، وكان هذا المطلب زيادة فى الاحتيال على الأمير (٣٩) .

أعطى المنذر ابن حفصون الأمان الذى طلبه على حياته ، وأرسل له قافلة من البغال لحمل أمتعته ، وعياله ، فأرسلها ابن حفصون الى قلاعه فى ببشتر . وعلى أثر ذلك رفع المنذر الحصار وعاد الى قرطبة . ويبدو أن الصلح قد عقد فى أحد المعسكرات التابعة للامير المنذر ، أو فى أحد الحصون التى يسيطر عليها لأن رواية ابن عـذارى — وهى تكاد تكون الرواية الوحيدة التى نقلت لنا كثيرا من التفاصيل عن علاقة المنذر بابن حفصون — تذكر أن عمر بن حفصون هرب فى مساء اليوم الذى وقع فيه الصلح باشراف القضاة والفقهاء تحت جنح الليل . واستولى فى الطـريق على قافلة البغـال ، وما معهـا ولحق بحصن ببشتر(٤٠) . واستفحل أمره وقال لشيعته متجبرا كما يروى ابن عذارى أيضا : « أنا ربكم الأعلى »(٤١) .

عاد المنذر الى حصار ببشتر مرة ثانية ، واتجهت عزيمته فى هذه المرة الى عدم فك الحصار حتى يقضى على عمر بن حفصون نهائيا . وظل الحصار مضروبا حول قلاع ببشتر ثلاثة وأربعين يوما ، أصاب المنذر خلالها المرض ، فبعث فى طلب أخيه عبد الله ليتوب عنه فى قيادة الحصار ، وما ان وصل عبد الله حتى فارق المنذر الحياة يوم السبت

---

(٣٩) المصدر السابق ، نفس الورقة ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ت : أحمد أمين ، وآخرين ، ج ٤ ، ص ٢٩٧ .

(٤٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٨ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٨ ، ابن الخطيب : أعمـال الأعـلام ، ص ٣٥ ، Gayangos, op. cit., V. II. p. 130.

(٤١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٨ .

الثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر صفر سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م)(٤٢) ، عن عمر يناهز السادسة والأربعين ، وحكم استمر سنتين الا خمسة عشر يوما (٤٣) •

ولم يتمكن الأمير عبد الله من السيطرة على الجنـد المحاصرين لقلاع ببشتر ، الذين ما لبثوا أن تفرقوا بعد أن علموا بوفاة أميرهم • فلم يكن أمام الأمير عبد الله بن محمد الا أن يعود الى قرطبة ، على أثر تداعى هذه الأحداث • خاصة وأن عمر بن حفصون خرج من قلاعه واستطال على جيش الامارة ، وهو فى هذه الحالة من الفوضى ، حتى انه نهب محلة الجيش كلها(٤٤) •

ويرى البعض أن الأمير المنذر بن محمد توفى قتيلا بعد مؤامرة كانت بين الأمير عبد الله وطبيب المنذر الخاص ، حيث سمم الطبيب المبضع الذى فصد به المنذر(٤٥) • ويستدل من يرى ذلك على وجهـة نظره ، بخلق الأمير عبد الله ، وسياسته الدموية ، التى اتبعهـا حتى مع أقرب الناس اليه ، حيث انه قتل اثنين من أبنائه ، وهما محمد — والد عبد الرحمن الناصر — والمطرف ، وقتل اثنين من اخوته همـا هشام والقاسم (٤٦) • وعلى ذلك لا يستبعد هؤلاء المؤرخون أن يكون

---

(٤٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٤٩ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٠١ •

(43) Gayangos, op. cit., V. II. p. 131.

(٤٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٨ ، Scott, op. cit., V. I. 536.

(٤٥) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ت : أحمد أمين وآخرين ، ج ٤ ، ص ٢٩٧ ، Scott, op. cit., V. I. p. 535.

(٤٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٩ •

الأمير عبد الله هو مدبر هذه الجريمة حتى يعتلى عرش الامارة(٤٧) .
ولكن رواية ابن القوطية واضحة فى تحديد المسئولية فى هذه الجريمة، حيث ذكرت هذه الرواية أن ميسورا فتى الأمير المنذر ، وضع له سما فى القطن الذى وضعه الطبيب الخاص بالأمير المنذر فى جرح الفصد ، وكان الأمير المنذر قد هدد فتاة ميسورا بمعاقبته حين يعود الى قرطبة على بعض الأمور التى قصر فيها(٤٨) .



(٤٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ت : أحمد أمين وآخرين ، ج ٤ ، ص ٢٩٧ ، عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، القسم الأول ، ص ٣٢٠ ، ٣٢١ .

(٤٨) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٠٢ .

الفصل الرابع

عمر بن حفصون والأمير عبد الله بن محمد

(٢٧٥هـ/٨٨٨م) — (٣٠٠هـ/٩١٢م)



بويع للأمير عبد الله بن محمد فى نفس اليوم الذى توفى فيه المنذر ، وهو السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر صفر (٢٧٥هـ/٨٨٨م)(١) • وقد وصلت الأحوال فى الدولة الى غايتها من التدهور والسوء ، وقد صور ابن عذارى أحوال الامارة وقد « تحيفها النكث ومزقها الشقاق ، وحل عراها النفاق ، والفتنة مستولية ، والدجنة متكاثفة ، والقلوب مختلفة ، وعصى الجماعة منصدعة ، والباطل قد أعلن ، والشر قد اشتهر ، وقد تمالأ على أهل الايمان حزب الشيطان ، وصار الناس من ذلك فى ظلماء ليل داج ، لا اشراق لصباحه ، ولا أفول لنجومه • تألب على أهل الاسلام أهل الشرك ، ومن ضاهاهم من أهل الفتنة ، الذين جردوا سيوفهم على أهل الاسلام(٢) •

وابن الخطيب يذكر بالتفصيل الدقيق صورة الوضع السياسى المتدهور الذى انعكست آثاره على مالية الدولة ، مما ترتب عليه ضعف المقاومة من جانب الامارة الأموية لأعدائها فى عهد الأمير عبد الله فيقول : « وتصيرت اليه الخلافة ••• ولم يبق منها الا الاسم فوق ظهر منبر قرطبة ••• ولم يدر عبد الله الى أين يصرف وجهه الى ابن حفصون ، كبير الثوار المجاور لقرطبة ، وقد استولى على أعظم البلاد مثل البيرة وربة وما الى ذلك ، أم لابن حجاج وقد استقل باشبيلية وقرمونة وما الى ذلك ، أم لعبد الرحمن بن مروان الجليقى ببطليوس ، أم لعبد الملك بن أبى الجواذ بباجة الغرب ، أم ابن السليم

---

(١) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٤٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢١ •

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (عصى) كذا فى الأصل •

بشذونة،أم لابن الياس بالقلعة المنسوبة اليه،أم لخير بن شاكر بشوذر، أم لعمر بن مضم الهروى ، أم لسعيد بن هذيل بحصن المنتلون ، أم لسعيد بن مستنة بباغو ، أم لبنى هايل بحصون جيان ، أم لاسحاق بن عطاء بحصن منتاشة أم لسعيد بن سليمان بن جودى بغرناطة ، أم لمحمد بن أضحى كبير العرب بالبيرة ، أم لأبى بكر بن يحيى بشنت مرية ، أم لسليمان بن محمد الشذونى بشريش ، أم لعبد الوهاب بمورين ، أم ليحيى التجيبى الأنقر بسرقسطة »(٣) •

وأدى ذلك بطبيعة الحال الى تدهور الوضع المالى للامارة الأموية حيث كان خراج الأندلس قبل هذه الفترة المضطربة ثلثمائة ألف دينار(٤) •وتدل البيانات التى ذكرها ابن خلدون عن الميزانية فى ذلك الوقت ، أن الدولة استنفذت كل احتياطيها المخزون من الأموال ، حيث كانت بنود الميزانية توزع خراج الدولة على النحو التالى « مائة ألف منها للجيوش ، ومائة ألف للنفقة فى النوائب وما يعرض ، ومائة ألف ذخيرة ووفرة ، فأنفقوا الوفر فى تلك السنين ، وقل الخراج »(٥) •

وانعكس هذا التردى المالى على تصرفات الأمير عبد الله ، وبصفة خاصة على جيش الامارة — عماد المقاومة للحركات الثورية فى

---

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٠ •

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ؛ ص ٢٨٨ ، النويرى : نهاية الأرب، مخطوط ، ورقة ٢٩ ، (ومما ذكره النويرى — بعد أن أورد نفس التفاصيل التى أوردها ابن خلدون عن ميزانية الامارة الأموية — أن الأمير عبد الله اتجه الى استكمال النقص عن طريق القروض ، وان كان لم يتحدث عن مصدر هذه القروض ، المصدر السابق ، نفس الورقة) •

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ؛ ص ٢٨٨ ، أنظر أيضا ،
Gayangos, op. cit., V. II.p. 131,
Scott, op. cit., V. I. p. 540.

ذلك الوقت — حيث عمد الى التقليل من أعطيات الجند ، وضيق على من بقى معه منهم ، فانصرف كثير من هؤلاء الجند عنه ، وعجز القواد نتيجة لذلك عن احراز أية انتصارات حاسمة ضد الثوار ، والخارجين على الامارة وخاصة عمر بن حفصون(٦) •

وقد حدت هذه الأوضاع الجديدة بالأمير عبد الله أن يسلك مسلكا جديدا مع عمر بن حفصون ، فأرسل اليه أحد قادته وهو ابراهيم بن خمير لاجراء محادثات مع الثائر أسفرت عن مبايعة عمر بن حفصون للامير عبد الله(٧) • ويعد هذا التصرف من جانب الامارة فى قرطبة اعترافا بسيادة عمر بن حفصون على الجنوب الأندلسى • وما لبث عمر بن حفصون على أثر هذا الاتفاق أن أرسل الى الأمير عبد الله وفدا ترأسه ولده حفص وجماعة من أصحابه ، فأخذت عليهم البيعة فى قرطبة ، وهناك أحسن الأمير استقبالهم وبالغ فى اكرامهم ورعايتهم(٨) •

عاد هذا الوفد من قرطبة ، وبصحبته أحد رجال الادارة الأموية ، وهو عبد الوهاب بن عبد الرءوف ويبدو أنه كان هناك اتفاق بين الطرفين ، لم تفصح عنه المصادر التى أرخت لهذه الفترة ، ويقضى هذا الاتفاق بأن يحكم الجنوب الأندلسى — الذى يسيطر عليه عمر بن حفصون — من خلال ادارة مزدوجة يكون فيها عبد الوهاب بن عبد

---

(٦) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٥٠ ، ١٥١ •

(٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، (وترى بعض المراجع أن اسمه كان ابراهيم حميد ، أنظر د. الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ٢٩١ •

(٨) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ،
Scott, op. cit., V. I. p. 540.

الرءوف ممثلا للحكومة المركزية فى قرطبة(٩). ويبدو أيضا أن هذا كان أحد الحلول التى طرحت لانهاء ثورة المولدين فى الجنوب الأندلسى فى نظر الأمير عبد الله . بينما تشير الأحداث الى أن ابن حفصون رأى أن هذا الاتفاق فرصة له لالتقاط الأنفاس ، ولاستطلاع مدى قوة الأمير الجديد . فلم تمض أشهر على هـذا الاتفاق حتى نقضـه عمر بـن حفصـون ، وطرد عبد الوهاب بن عبد الرءوف — عامل الأمير — من المنطقة وعاد الى وضعه القديم « ومد يده الى ما نهى عنه ، فلم يدع مالا عنـد من أمكنه ، واستحوذ على أهل الكور فى أموالهم ، وأمضى نفسه على عادته الذميمة من الفساد وقطع السبل (١٠) » .

وفى سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) خرج الأمير عبد الله لتأديب عمر بن حفصون ، فاتجه الى حصون رية فدمر كثيرا من تحصيناتها ، كما هاجم ببشتر نفسها ، وخرب كثيرا من مظاهر الحياة الرئيسية فيها، وعاد من هـذه الحملة بعد أن ترك فى رية عاملا من قبله عليها هـو محمد بن ذنين (١١) . ولكن عمر بن حفصون خرج من مكمنه فى ببشتر ، واندفع وراء الأمير عبد الله ، فاحتل هو وأعوانه مدينة استجة ، واستولى على حصن استبه . فأخرج الأمير عبد الله جيشا لمواجهة عمر بن حفصون ، الـذى تراجع عن موقفه ، وطلب الأمان من الأمير عبد الله ، فعقد له الأمير أمانا ، لم يدم طويلا فبعد عدة أشهر ، نقض عمر بن حفصون عهد الأمير مرة ثانية ، واعتدى على مدينة بيانة ، وحارب أهلها ، وبعد

---

(٩) د. الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ٢٩١ ، عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، القسم الأول ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(١٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

(١١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (وبهامش التحقيـق فى نفس الصفحة أنه محمد بن دقين) .

أن أعطاهم العهد بالأمان على أنفسهم وأموالهم ، غدر بهم وأخذ أموالهم وسبى ذراريهم (١٢) .

وفى نفس الوقت ثار أهل جيان ، وأخرجوا عباس بن لقيط — عامل الأمير عبد الله عليها — وتزعم هذه الثورة خير بن شاكر ، فأرسل الأمير عبد الله قائده ابن أبى عبدة الذى عجز تماما عن اخضاع هذه الثورة (١٣) .

ومما يلفت النظر فى تصرفات عمر بن حفصون ، أنه كان فى كل مرة ينقض فيها الصلح مع الأمير عبد الله ، كان يقفز الى مناطق جديدة يستولى عليها ثم يطلب الأمان والصلح من الأمير كى يقره على ما بيده من المناطق الجديدة . ويبدو أن الأمير عبد الله فطن الى سياسة عمر ابن حفصون الرامية الى بسط نفوذه على جميع الجنوب الأندلسى بدءا من المناطق المتاخمة لقرطبة ، وحتى سواحل الأندلس المطلة على البحر المتوسط . يتضح ذلك من مسلك عمر بن حفصون حين اندلعت ثورة ابن شاكر فى جيان ، فبعد فشل ابن أبى عبدة فى اخضاع الثوار فى جيان ، أراد عمر بن حفصون أن يظهر بمظهر المدافع عن الامارة الأموية فى قرطبة ضد أعدائها والخارجين عليها ، فأرسل قوة من الخيالة تظاهرت لابن شاكر — الثائر فى جيان — أنها جاءت مددا له من عمر بن حفصون ، فخرج لاستقبالها ، وتمكنت هذه القوة من مفاجأة ابن شاكر وقتله وحمل رأسه الى ابن حفصون ، الذى بادر بارسالها الى الأمير عبد الله عربونا لأمان جديد يدخل مدينة جيان ضمن مناطق نفوذه ، ولكن

---

(١٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، (بيانة : بزيادة الهاء وهى قصبة كورة قبرة ، وهى كبيرة حصينة على ربوة يكتنفها أشجار وأنهار ، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥١٨ .) .

(١٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

الأمير رفض عرض ابن حفصون بعد أن أحس أن عمر يسعى لتوسيع رقعة نفوذه الأمر الذى يشكل خطرا جسيما على مستقبل الامارة الأموية فى بلاد الأندلس . ومما يؤكد ذلك أن عمر بن حفصون اندفع الى جيان — بعد أن رفض الأمير عبد الله طلب الأمان — « فأغرم أهلها الأموال الجسيمة ، وأقامت جيان والبيرة مدة دون عامل من الأمير (١٤) » كما أن كثيرا من المصادر لم تذكر أن الأمير عبد الله أعطى ابن حفصون أمانا بعد ذلك من هذا النوع ، لأنه فيما يبدو رأى — كما أسلفنا قبل ذلك — أن عهود الأمان التى منحها لابن حفصون ارتبطت كثيرا بسياسة التوسعية .

وفى تلك الآونة اتسع نطاق الثورة فى المناطق الجنوبية من الأندلس ولم يعد أمر الثورة قاصرا على المولدين بزعامة عمر بن حفصون فحسب، اذ كانت القبائل العربية — التى تجمعت تحت قيادة زعامات محلية — هى عماد ثورات محلية أخرى ضد المولدين فى كثير من الأحيان ، وضد الامارة فى بعض الأحيان . حيث وجدت هذه القبائل العربية أنه لامفر من دخولها فى بوتقة الصراع مع المولدين والنصارى ، الثائرين عليهم وعلى الامارة فى قرطبة ، لأن ذلك يعزز موقفهم ، فيتمكنون من بسط نفوذهم على ما بأيديهم من المناطق ، فلا يحكم المولدون والنصارى قبضتهم عليها . وتضيع هيبة القبائل العربية (١٥) .

---

(١٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(١٥) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى : ترجمة : د. حسين مؤنس ، ط أولى مكتبة النهضة المصرية ، ص ٦ (ويذكر انخل جنثالث بالنثيا أن الأمير عبد الله لجأ الى القبائل العربية وشيوخها ، يستعين بهم على محاربة الخارجين عليه من المولدين وأن هؤلاء العرب استغلوا هذه الفرصة ، فمكنوا لأنفسهم من نواحيهم ، وانتزوا هم الآخرون بها وانشأوا فيها سلطانا مناهضا لسلطان الأمير ، واضطرت الامارة الى استرضائهم باقرارهم على ما بأيديهم كما يروى ابن حيان ، ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ٦١ .)

وكانت كورة البيرة هى مركز نشاط هذه القبائل التى تزعمها يحى بن صقاله القيسى ، الذى خرج فى البراجلة من كورة البيرة سنة (٢٧٥هـ/٨٨٩م) ، اذ عمد هذا الزعيم العربى الى مقاومة الثائرين من المولدين والنصارى ، ولكنه ما لبث أن قتل غدرا ، على يد بعض المولدين فى البيرة (١٦) . فتزعم العرب سوار بن حمدون القيسى ، الذى نشبت بينه وبين عمر بن حفصون عدة معارك كانت غاية فى القسوة والعنف على المولدين ، ولكنه قتل فى كمين أعده له حفص بن المرة ، أحد قادة عمر بن حفصون سنة (٢٧٧هـ/٨٩١م) (١٧). ويذكر ابن حيان أن نساء المولدين من حاضرة البيرة « قطعن لحمه مزقا وأكله كثير منهن حنقا عليه ، لما قدنالهن به المرة بعد المرة من الثكل فى بعولتهن ، وأهليهن واليتم فى أبنائهن (١٨) » . وهذا يعكس العداء الصارخ بين العرب والمولدين فى ذلك الوقت .

خلف سوار بن حمدون فى زعامة القبائل العربية ، زعيم جديد هو سعيد بن سليمان بن جودى الذى كان زعيما شجاعا وأديبا شاعرا خطيبا ، فصيح اللسان واسع الأدب والمعرفة ، استطاع أن يجمع حوله القبائل العربية ، وأن يشدد من وطأتها على المولدين بزعامة عمر بن حفصون ، وألحق به الهزائم ، وتمكن ابن حفصون من أسره فى احدى هذه المعارك ، ولم يطلق سراحه الابعد أن دفع فدية كبيرة (١٩) . ولما رأى الأمير عبد الله غلبة العرب بزعامة سعيد بن جودى على كورة البيرة ، أقره على ولايتها فحكمها باسم الأمير عبد الله ، ولكنه قتل

---

(١٦) المصدر السابق ، ت : ملشور ، ص ٥٥ .

(١٧) المصدر السابق ، ت : ملشور ، ص ٦٠ ، ٦١ .

(١٨) المصدر السابق ، ت ملشور ، ص ٦١ .

(١٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ — ١٣٦ ، ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، عنان دولة الاسلام فى الأندلس ، القسم الأول ، ص ٣٢٩ .

بعد ذلك فى ســـنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م) • وترى بعض الروايات أن القتل كان بتدبير من الأمير عبد الله نفسه (٢٠) •

وقد تضعضع أمر العرب بعد مقتل هذا الزعيم القوى واضطرب أمرهم (٢١) • ولكن بعد أن قامت القبائل العربية بدورها فى مواجهـــة حركة المولدين والنصارى ، التى كانت متماسكة الى حـــــد بعيد فى الجنوب الأندلسى تحت زعامة عمر بن حفصون فى كثـــافة عـــددية هائـــلة •

وخلف سعيد بن جودى فى زعامة القبائل العربية ، محمـــد بن أضحى الهمذانى ، صاحب حصن الحامة ، وقد دارت بينه وبين عمر بن حفصون عدة معارك كانت الحرب فيها سجالا بين الطرفين (٢٢) •

وتجدر لاشارة هنا ـــ كما أسلفنا قبـــل ذلك ـــ الى أن الزعامات المحلية العربية خلال الصراع بين المولدين والامارة الأموية ، حرصت على هويتها العربية ، فقد كان ظهورها على مسرح الأحداث فى مواجهة المولدين رد فعل لطغيان المولدين والنصارى بزعامة عمر بن حفصون، فانضمت هذه الزعامات الى جانب الامارة ضد المولدين لأنها رأت ذلك فى مصلحتها القومية العليا ، ولأن موقف المولدين والنصـــارى منهم ومن الامارة كان موقفا واحدا وهو العداء الصريح (٢٣) •

---

(٢٠) المرجع السابق ، نفس الصفحة . (وذكر ابن عذارى أنه قتل فى دار عشيقة يهودية غدرا ، ابن عذارى : البيان المغـــرب ، ج ٢ ، ص ١٣٤ •) •

(٢١) ابن حيان : المقتبس : ت : ملشور ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ •

(٢٢) ابن عذارى : البيان المغـــرب ، ج ٢ ، ص ١٣٤ ، المرجـــع السابق ، نفس الصفحة •

(٢٣) أنظر فيما سبق ص ٣٧ ـــ ٣٩ •

والذى يبدو من تداعى الاحداث ومن السياق التاريخى لها طبقا للمعلومات التى أوردها ابن خلدون(٢٤) • وابن حيان(٢٥) • أن الثائر عمر بن حفصون فى هذه الفترة اتخذ بعض الخطوات التى من شأنها دعم ثورة المولدين فى الجنوب الأندلسى ، وذلك بالقيام ببعض الاتصالات الخارجية بالقوى السياسية المناهضة للامويين فى بلاد الأندلس ، سواء كانت هذه القوى فى المشرق البعيد هناك حيث الخلافة العباسية ، أم فى بلاد المغرب الاسلامى حيث تجمعت هناك عدة قوى سياسية معادية للنظام الأموى فى قرطبة كالأغالبة فى افريقية ، والأدارسة فى المغرب الأقصى •

أعلن عمر بن حفصون الدعوة فى جنوب الأندلس للعباسيين — أعداء بنى أمية فى الأندلس — وجاء هذا الاعلان من جانبه ارهابا للأمويين ، ورغبة منه فى اضفاء لون من ألوان الشرعية على ثورته ، ويرى بعض المؤرخين أن ذلك كان رغبة منه فى استرضاء الكثيرين من العرب والبربر الحانقين على بنى أمية (٢٦) • وكما يروى ابن حيان عن عدد من مشيخة أهل كورتى اشبيلية ورية أن ابن حفصون : « كاتب ابن الأغلب أمير افريقية لبنى العباس فى اعلانه بدعوتهم ولاطفه بالهدايا ، وأبى ابن الأغلب اجابته وكافأه عن هديته » (٢٧) • ويعلل ابن خلدون تراخى الأمير الأغلبى عن اجابة طلب ابن حفصون ، بسبب اضطراب افريقية على الأغالبة فى ذلك الوقت(٢٨) • وواضح من نص ابن حيان

---

(٢٤) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٩٣ •

(٢٥) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ٩٣ •

(٢٦) د• محمود اسماعيل عبد الرازق : الأغالبة سياستهم الخارجية ، ط ١٩٧٢ ، ص ١٦١ •

(٢٧) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ٩٣ : (وكانت للعباسيين فى ذلك الوقت سيادة اسمية على دولة الأغالبة فى افريقية •)

(٢٨) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٩٣ ، (وأورد النويرى نفس السبب تعليلا لتراخى الأمير ابراهيم بن الأغلب عن اجابة طلب ابن حفصون ، النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط ، ورقة ٢٩ •)

أن ابن حفصون كان يسعى الى أن يقوم الأغالبة بدور الوساطة بينه وبين العباسيين ، كى يعترف به العباسيون ، حاكما شرعيا على الأندلس • (٢٩) •

ويبدو أن الأمير ابراهيم بن الأغلب لم يحفل كثيرا بتحقيق رغبة عمر بن حفصون ، وذلك للهزائم الكثيرة التى تعرض لها هذا الثائر ، أو ربما اطلع الأمير الأغلبى على الأهداف الحقيقية لعمر بن حفصون من وراء هذه الوساطة ، فلم يقم الأمير الأغلبى من جانبه بهذه الوساطة(٣٠) •

ومن المؤكد أن تنصر عمر بن حفصون سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م) كان سببا مباشرا ، فى اعراض الأمير الأغلبى عن تحقيق رغبته فى الاتصال بالعباسيين(٣١) • واكتفى الأغالبة بارسال بعض الهدايا له ، وحفزوه على اثارة العراقيل فى وجه بنى أمية ، وذلك لأن الأغالبة كانوا يرحبون بمؤازرة أية حركة فى الأندلس من شأنها اضعاف الامارة الأموية كلما سمحت لهم الظروف بذلك(٣٢) •

مضى عمر بن حفصون فى سياسته فى الاتصال بالقوى السياسية المغربية المعارضة للامويين فى الأندلس ، فاتصل بالأدارسة حيث يذكر

---

(٢٩) د. محمود اسماعيل عبد الرازق : الأغالبة سياستهم الخارجية، ص ١٦٠ ، ١٦١ .

(٣٠) المرجع السابق ، ص ١٦٠ ، د. أحمد شلبى ، موسوعة التاريخ الاسلامى ، ج ٤ ، ص ١٠٧ .

(٣١) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٢٨ ، د. محمود اسماعيل عبد الرازق : الأغالبة سياستهم الخارجية ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ،
Hitti, P.K., History of the Arabs, London (1943), p. 519.
(ويرى ابن الخطيب أن تنصره كان فى سنة (٢٨٥ هـ) ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٦٠ .) .

(٣٢) المرجع السابق ، ص ١٦٢ ،
Hitti, op. cit. p. 519.

ابن حزم أن عمر بن حفصون ، خطب للقاسم بن ابراهيم الادريسى صاحب البصرة ، وكانت هناك مراسلات ومكاتبات بين الطرفين تفصح عن عداء الطرفين للامارة الأموية فى الأندلس(٣٣) ٠

وهذه الاتصالات السياسية الخارجية ، تعكس ولا شك مدى ما وصل اليه عمر بن حفصون من قوة ونفوذ وسلطان داخلى فى بلاد الأندلس ، وروايات المؤرخين تؤكد هذه الحقيقة ، حيث بلغ نفوذه الى جهات قرطبة القريبة ، واعتدت قواته فعلا على أغنام قرطبة فى مراعيها(٣٤)٠كذلك يروى ابن حيان أن ابن حفصون : « ألقى على قرطبة ـ حضرة السلطان ـ كلكله وتوصل لمقامه بحصن بلاى تجاه الأمير عبد الله الى اغاظته واضطهاد رعيته باقليم قرطبة ، وجعل يسرى من حصنه ذلك الليلة بعد الليلة ، فيطرق قرى القنبانية ، ويدنو من بابه قرطبة حتى ينتهى الى كدى قرية شقندة ازاء قصر الخلافة بعدوة النهر الأعظم فيروع أهلها ويضيم سلطانها »(٣٥) ٠

وبلغ الأمر حدا مريرا من الاستهانة بقوة الأمير عبد الله ، حيث تذكر بعض الروايات أن أحد فرسان عمر بن حفصون ، تقدم نحو

---

(٣٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، نشر : أ. ليفى ٠ بروفنسال، ط. دار المعارف القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٤٤ ، (البصرة هنا هى احدى القواعد القوية الهامة التى سيطر عليها القاسم بن ابراهيم بن ادريس فى بلاد المغرب ، وهى مدينة كبيرة واسعة كثيرة المراعى والألبان لها عشرة أبواب، وجامعها سبع بلاطات ، وتعرف ببصرة الدبان ، وأيضا ببصرة الكتان لأن أهلها كانوا يتبايعون فى بدء أمرها فى جميع تجاراتهم بالكتان وتعرف أيضا بالحمراء لأنها حمراء التربة ، البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ببغداد ، ص ١١٠ ٠) ٠

(٣٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ٠

(٣٥) ابن حيان : المقتبس ، ت ملشور ، ص ٩٣ ٠

قنطرة قرطبة : « ودفع رمحه ، فأصاب الصورة التى على باب القنطرة ثم كر راجعا الى أصحابه(٣٦) .

علاوة على ذلك كان الأمير عبد الله يعانى من وضع داخلى بالغ السوء داخل قرطبة نفسها ، حيث انقسم أهل الذمة الى قسمين ، قسم متطرف حاد فى تطرفه ، وهذا ظهر منه المستخفون بالدين الذين أسلفنا الحديث عنهم قبل ذلك(٣٧) . قسم معتدل موال للامير ، وقد ضم هذا القسم المعتدل عددا كبيرا من المنافقين الذين كانوا أدوات فى يد عمر بن حفصون ، وقد قاد هذا الفريق من المنافقين العاملين سرا ضد الأمير عبد الله شربند بن حجاج أو ابن حسان القومس وأخيه . وعندما ضعف مركز الأمير عبد الله بتدهور الأوضاع السياسية والعسكرية ، قلب هذا المنافق للامير عبد الله ظهر المجن ، « وأصبح أهل الذمة فى قرطبة كتلة واحدة ارتبطت عواطفها بابن حفصون »(٣٨) .

وبدأ شربند يدبر لحركة عصيان واسعة ضد الأمير فى قرطبة ، ولكن الأمير عرف بما يدبر له شربند فأمر بالقبض عليه ، وقتل أخاه(٣٩) . وتمكن شربند من الفرار واللحاق بحصن بلاى ، حيث أمده عمر بن حفصون بفرقة من الجند قامت بشن الغارات على أحواز قرطبة(٤٠) . وقد يكون شربند هذا هو الذى اعتدى على قنطرة قرطبة(٤١) . وقد

---

(٣٦) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٥١ .

(٣٧) أنظر فيما سبق ، ص ٣٤ — ٣٧ .

(٣٨) د. أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها ، ص ٢٥٢ .

(٣٩) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٠٢ .

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

(٤١) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٥١ .

أوقعت بشربند بعض سرايا المقاومة التى أخرجها الأمير عبد الله لدفع غارات ابن حفصون على قرطبة (٤٢) .

وكان عمر بن حفصون قد دعم وجوده العسكرى فى جهات قرطبة، وابتنى لقواته قلعة عسكرية ضخمة على غرار قلعته فى ببشتر عرفت باسمها الذى اشتهر فى المصادر باسم حصن (بلاى)(٤٣) . أو بلاية كما يسميه ابن خلدون(٤٤) ، وهو على بعد مرحلة واحدة من قرطبة(٤٥). ومن هنا استشعر الأمير عبد الله خطورة الموقف ، وأن الأمر أصبح يتعلق بمصير الامارة كلها ، ومن ثم قرر مهاجمة ابن حفصون بنفسه رغم التحذيرات الشديدة من جانب وزرائه ، بألا يعرض نفسه للخطر أمام ابن حفصون القريب من عاصمته (٤٦) .

جرت الاستعدادات الفورية للحرب ، وتمكن الأمير عبد الله من اعداد جيش من أربعة عشر ألفا من المتطوعين من أهل قرطبة ، بالاضافة الى أربعة آلاف جندى من الحشم (٤٧) . فكان مجموع قواته ثمانية

---

(٤٢) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ٩٢ ، المرجع السابق، نفس الصفحة .

(٤٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٢٣ ،(بلاى : من أعمال قبرة ، كانت قلعة حصينة تقع على بعد نحو خمسين كيلو مترا الى الجنوب الغربى من قرطبة ، وفى موضعها اليوم قرية تسمى أجيلار ، ابن حيان : المقتبس ، ت : د. محمود على مكى ، هامش ص ٥٥٧ .) .

(٤٤) ابن خلدون ، العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٩٣ .

(٤٥) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ١٥١ .

(٤٦) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٤٧) المصدر السابق ، ص ١٠٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط ، ورقة ٢٨ .

عشر ألفا (٤٨) . بينما قدر المؤرخون حشود عمر بن حفصون التى جمعها بثلاثين ألف جندى (٤٩) . وكانت طلائع قوات ابن حفصون قد اتخذت مواقعها فى المنطقة المعروفة باسم فج المائدة المطلة على باب قرطبة(٥٠) . بينما بدأت تحركات الأمير عبد الله مستهل صفر سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م) ، بنصب سرادق قيادته فى فحص شقندة بعدوة نهر قرطبة أمام قصر الخلافة(٥١) .

واستخف عمر بن حفصون نفسه بامكانية مهاجمة الأمير عبد الله له ، حيث توهم أنه بلغ قدرا من القوة ، يستحيل معها أن يفكر الأمير فى مهاجمته ، فأعلن أنه سيكافىء من يخبره بمسير الأمير عبد الله اليه بأن يعطيه خمسمائة دينار(٥٢) . وفكر عمر بن حفصون فى احراز نصر سريع على الأمير عبد الله ، فخرج الى قرطبة فى سرية ثقيلة ، وصلت الى فج المائدة فى أول الليل ، وداهمت هذه السرية سرادق الأمير عبد الله ، للاستيلاء عليه ، وتمكنت حامية السرادق ، من الغلمان ورماة المماليك من رد طلائع ابن حفصون عن سرادق الأمير ، وقتلت عددا كبيرا من جنوده ، ولاذ الآخرون بالفرار ومعهم ابن حفصون(٥٣) . وفى صباح اليوم التالى جرى استعراض لرءوس القتلى والخيول

---

(٤٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ت : أحمد أمين وآخرين ، ج ٤ ، ص ٢٩٨ .

(٤٩) نفس المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣١ .

(٥٠) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ٩٤ ، (والفج كما يعرفه ياقوت الطريق الواسع بين الجبلين ، (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٣٥ .) .

(٥١) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ٩٤ ، ص ١٠٢ .

(٥٢) المصدر السابق ، ت : ملشور ، ص ٩٧ .

(٥٣) المصدر السابق ، ت : ملشور ، ص ٩٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(٥٤) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٠٣ .

التى غنمها جيش الأمير من هذه الغارة ، وقد رفعت هذه الأحداث من معنويات العامة فى قرطبة ، فازدادوا التحاما بأميرهم (٥٤) .

خرج الأمير عبد الله ، ومعه جيشه فى اثر عمر بن حفصـون ، ونزل بمحلته على نهر الفوشكة ، على بعد ميلين من حصن بـلاى ، حيث تراءت طلائع الجيشين وتمكن جيش الامارة من مفاجـأة جيش ابن حفصون بصدمة قوية ، احتد القتال على أثرها فحلت الهزيمة بعمر ابن حفصون ، الذى بادر بالاسراع الى داخل الحصن ، وفى الليـل تمكن أهل استجة من نقب أسوار الحصن ، وخرجـوا منـه فارين ، وتبعهم عمر بن حفصون ، بعد أن فشل فى السيطرة على قواته داخـل الحصن(٥٥) .

اقتحم الأمير عبد الله وجنوده الحصن « فأصابوه مترعا بالأموال والأقوات والأمتعة والآلات ، فنبهوا جميع ذلك ، وحازوا منه ماله قدر عظيم (٥٦) » . أما ابن حفصون فاتجه الى أرشـذونة ، وكانت تحت سيطرته ، فأخذ أهلها معه واتجه بهم الى ببشتر حيث عادت حركته الى الانكماش مرة ثانية (٥٧) .

---

(٥٥) ابن حيان : المقتبس : ت : ملشور ، ص ٩٤ — ٩٦ ، النويرى: نهاية الأرب ، مخطوط ، ورقة ٢٨ ، Scott, op. cit., V. I. p. 558. (ويرى ابن حيان أن ابن حفصون : « ثلم ثلمة فى جهة متوارية من الحصن خرج منها فى خمسة نفر من خاصته ابن حيـان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٠٥ .) .

(٥٦) المصدر السابق ، ت : ملشور ، ص ٩٦ .

(٥٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن عبد ربه : العقد الفريد، ت : أحمد أمين وآخرين ، ج ٤ ، ص ٢٩٨ ، (وحكى أن سعيد بن مستنه صاحبه وظهيره (ابن حفصون) داعبه فى طريق هزيمته هذه وقال له : قد وفر الله عليك الخمس مائة دينار التى كنت بذلتها ، فكيف رأيت عقبى الاغترار ببنى أمية فغضب (ابن حفصون) من قوله وقال : ذلك من جبنك وجبن أمثالك باشباه الرجال ولا حقيقة ، ابن حيـان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ٩٧ .) .

وتعد هذه المعركة من المعارك الهامة التى حطمت شوكة عمر بن حفصون ، فلم يصبح بعد هذه المعركة على نفس درجة الخطورة التى كان عليها قبل المعركة كما هيأت هذه المعركة للحكومة المركزية فى قرطبة ، وضعا سياسيا ، واقتصاديا وعسكريا أفضل فى مواجهة حركة عمر بن حفصون ، حيث أصبح فى مقدور جيوش الامارة التحرك بحرية خلال الجنوب الأندلسى ، كما أن الجباية تحسنت بعض الشيء، بعودة كثير من المناطق الى سلطة الامارة ، فتحسنت أوضاعها المالية ، الأمر الذى ترتب عليه زيادة فى قدرة الامارة على الانفاق على تكاليف الحرب مع ابن حفصون ، وغيره ن الثوار . كما أظهرت هذه المعركة القدرات العسكرية لبعض قادة الامارة من أمثال عبيد الله بن محمد بن أبى عبدة ، الذى وضع خطة الهجوم على قوات عمر بن حفصون فى موقعة بلاى(٥٨) . وقد كانت كفاءته العسكرية وجرأته مدعاة لأن يوليه الأمير عبد الله — بعد عودته الى قرطبة من هذه المعركة — منصب الوزارة(٥٩) . كما أن هذه الشخصية العسكرية اللامعة سيعول عليها الأمير عبد الله كثيرا فى التصدى لحركة عمر بن حفصون .

حرص الأمير عبد الله على متابعة عمر بن حفصون والاستيلاء على معاقله التى تحصنت بها معظم فلوله ، فاتجه بكامل جيشه الى مدينة استجة ، حتى يؤمن ظهر قواته المتقدمة نحو حصن ببشتر ، وحاصرها حصارا شديدا ، وقذفها بحجارة المنجنيق حتى هلك كثير من أهلها ، وبلغ من الباقى الجهد من هذا الحصار المؤلم ، حتى رفعوا أطفالهم ونساءهم على سور المدينة مستعطفين الأمير بصراخهم وعويلهم

---

(٥٨) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٥٩) المصدر السابق ، ت : ملشور ، ص ١٠٣ ، عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، القسم الأول ، ص ٣٢٦ .

فأعطاهم الأمير الأمان ، وأخذ من وجوههم رهائن على صدق طاعتهم ، واستعمل عليهم عاملا من قبله(٦٠) .

اتجه الأمير عبد الله بعد تأمين الأوضاع فى استجة الى ببشتر ، حيث ضرب الحصار حول قلعة ابن حفصون فى ببشتر ، ودأب جيش الامارة خلال مدة الحصار على تحطيم ما حول القلعـــة من الزرع والأشجار ، ولكن الجند كان قد طال عليهم أمد الحرب ، وســـئموا الاقامة على حصار ابن حفصون ، وتطلعوا الى العودة الى قرطبة(٦١).

وعلى الفور شرع الأمير عبد الله فى العودة ، وأمر الجيش بفك الحصار ، والعودة . وما ان ترك الجيش الحصن وأخذ فى سلوك شعب جبل ببشتر ومضايقه حتى خرج ابن حفصون على أمل مفاجأة جيش الامارة عند أحد المضايق الجبلية . ولكن الأمير عبد الله فطن لما يدبره ابن حفصون ، وكان الطريق فى منطقة العبور لا يتسع الا لمرور اثنين أو ثلاثة فقط ببطء شديد ، « فقدم الأمير اليها أثقال العسكر وحمولته، وتلاهم بأهل الضعف والعجز من أهله ، ووكل بتسييرهم فيه وترفقهم فى قطعة كفاة من رجاله ، وتخير للساقة حماة أنجادا من أبطالهم خلفهم مع نفسه ، فلما سلكت الأثقال ومقصرو الرجال ، ولم يبق من الناس الا المستقل المتخفف ، أطلق الرجال للحرب »(٦٢) .

دارت المعركة بين الطرفين على نشر من الأرض فى المنطقة فى غرة ربيع الأول سنة (٢٧٨هـ/٨٩١م) ، ولما لاحظ القائد عبيد الله بن

---

(٦٠) المصدر السابق ، ت : ملشور ، ص ٩٧ ، ابن عـــذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص١٢٣ ، ١٢٤ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ ،

Scott, op. cit., V. I. p. 558.

(٦١) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ٩٩ .

(٦٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

محمد بن أبى عبدة تساجل الناس فى القتال ، اختار مجموعة من الأبطال الأقوياء ، وحمل بهم على ميسرة ابن حفصون فهزمت ، فاتجه بهم الى الميمنة « ووقعت ردعة بعد ردعة ثبتوا لها ساعة ، ثم ضرب الله فى وجوه الفسقة ، فانهزموا أفحش هزيمة ، وكسعت الخيل آثارهم ، فقتلت جماعة منهم ، وتردى منهم خلق كثير فى مهاوى الأودية والأهضاب الآسبة ، وارتموا من الجبال الشاهقة ، فجمع من رءوسهم نحو الخمس مائة رأس ، أمر الأمير عبد الله بحملها الى باب قصره بقرطبة »(٦٣) .

وفى طريق عودة الأمير عبد الله الى العاصمة قرطبة ، استعاد مدينة ارشذونة ، وقسطيلة حاضرة كورة البيرة ، وأخذ من أهلها عددا من الرهائن ليضمن طاعتهم ، كما استرجع مدينة جيان الى سيطرته . وبذا تمكنت الامارة من بسط نفوذها واستعادة هيبتها على معظم أراضيها فى الجنوب الأندلسى .

على أن الآثار العسكرية والسياسية لموقعة بلاى تكمن فى أن الامارة فى قرطبة استطاعت أن تجمد حركة عمر بن حفصون ، ومكنت لنفسها — فى ضوء الانتصارات التى حققتها — من وضع ترتيبات عسكرية وسياسية لضمان تجميد هذه الحركة ، لأنها كانت فى ذلك الوقت لا تمتلك الوسائل المناسبة للقضاء عليها . وتتضح أهم معالم هذه الآثار السياسية والعسكرية فى مسلك الأمير عبد الله تجاه عمر بن حفصون وغيره من الثائرين عليه بعد معركة بلاى .

---

(٦٣) المصدر السابق ، ت : ملشور ، ص ١٠٠ ، وذكر ابن خلدون هذه الأحداث فى ايجاز شديد ، انظر ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .

(٦٤) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٠٠ ، ١٠٢ .

فنجد الأمير عبد الله يعمد الى تقوية الوجود العسكرى للامارة فى جيمع النواحى ، وأدى هذا الى شلل نشاط عمر بن حفصون خارج منطقته فى ببشتر ، وجرت سياسة الأمير عبد الله على أساس العمل دائما على محاصرة ابن حفصون فى حصنه ، كلما ظهر نشاطه ، حتى يضطره الى طلب الهدنة والموادعة مقابل تقديم الرهائن على صدق نواياه • ودأب ابن حفصون من جهة أخرى على نقض هذه الموادعات التى كانت فى معظم الأحوال لا تزيد عن عام(٦٥) • وكان الأمير عبد الله يستغل فترات الموادعات هذه فى ارسال حملات لاخضاع الثائرين فى شرق الأندلس وغربها ، وجرى التخطيط لهذه الحملات على أن تبدأ بالحصون الأضعف فتخضعها ، بعد أن تكون قد قامت بدكها بالمنجنيق ، وضربت الأراضى المحيطة بها ، ثم تنتقل هذه الحملات بعد ذلك الى الحصون الأقوى(٦٦) •

يضاف الى هذا أن الثائرين كانوا لا يعتمدون على الحرب النظامية ، وانما يلجأون الى حرب العصابات معتمدين على رجالهم الأقوياء الأشداء ، وعلى وعورة المناطق التى يثورون بها ، وهذه السياسة أتعبت جيوش الامارة ، التى كانت تعتمد على الأسلوب

---

(٦٥) المصدر السابق ، ت : ملشور ، ص ١٠٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، (يروى ابن عذارى أن ابن حفصون نقض عهدا سابقا كان بينه وبين الأمير عبد الله سنة ٢٧٩ هـ • ويروى أيضا أن الأمير المطرف حاصر ابن حفصون فى قلعته ببشتر سنة ٢٨٠ هـ، وضرب ما حولها ، المصدر السابق ، نفس الصفحة •) •

(٦٦) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٠٦ ، د• أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها ، ص ٢٥٨ ، (تظهر هذه السياسة عندما غزا الأمير عبد الله بنفسه حصن كركبولية لضرب سعيد بن مستنة — أحد حلفاء عمر بن حفصون — « فاستغزى العسكر حصون سعيد بن مستنة ، وحاصرها وذهب بزروعها ، وانتسف أشجارها ثم نزل حصن كركبولية منها ، فأقام عليه مواليا بالتضييق مراميا عن المنجنيق حتى أجهد أهله » ، المصدر السابق ، نفس الصفحة •) •

النظامى فى الحرب مع هذه العصابات . ولذلك لجأ الأمير عبد الله وقادته الجدد — الذين ظهر تفوقهم العسكرى فى معركة بلاى — الى وضع استراتيجية عسكرية جديدة — اذا جاز لنا استخدام هذا التعبير — فأنشأ فى جيشه فرقة أشبه ما تكون بالفرقة الانتحارية فى الجيوش الحديثة ، وهذه الفرقة صاحبت جيوش الامارة فى معاركها التى تلت معركة (بلاى) ، وحاربت الثائرين بنفس طريقتهم ، فلجأت الى أسلوب حرب العصابات ، وترأس هذه الفرقة القائد أحمد بن محمد بن أبى عبدة — الذى كان وأسرته من أقوى موالى بنى أمية فى الأندلس — وتحدث ابن القوطية عن هذه التعديلات الجديدة فى السياسة العسكرية فذكر أن القائد أحمد بن محمد بن أبى عبدة : « استجلب الشجعان من الرجال من كل بلد وضمهم الى الحق ، فأصبحت حوله عقدة من ثلثماية فارس لم يجتمع بالأندلس قبله ولا بعده مثلها »(٦٧) .

تابع الأمير عبد الله محاولاته لعزل عمر بن حفصون وتجميد حركته ، فحاول اقامة علاقات متوازنة بينه وبين الثائرين عليه ، حلفاء عمر بن حفصون ، واكتفى من هؤلاء الثائرين بعد القيام بحملات على جهاتهم ، بمجرد الخضوع اليه فى شكل دفع مبلغ معين من الجباية يقدمه هؤلاء الثائرون كل عام ، فى مقابل منحهم تقليدا بحكم جهاتهم ،

---

(٦٧) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٠٧ ، ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٢٩ ، (مع خلاف فى اللفظ) ، (ويرى صاحب الأخبار المجموعة عن آثار هذه التعديلات أن « الأمور قد التأمت بعض الالتئام فى آخر أيامه (الأمير عبد الله) بقائده أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى عبده ، فله على ابن حفصون وغيره من الثوار وقائع مشهورة انتصف فيها منهم » ، مجهول : الأخبار المجموعة ، ص ١٥١ .) .

وبهذه الخطوة فوت الأمير عبد الله على عمر بن حفصون فرصـــة التحالف مع هؤلاء الثائرين ثانية(٦٨) •

ضاقت الدنيا فى وجه عمر بن حفصون فى الجنوب الأندلسى ، اذ انصرف عنه معظم حلفائه ، ودخلوا فى طاعة الأمير عبد الله لقـاء ما يدفعونه من مبـالغ • لذا كان المردود السياسى لهـذه الأوضاع الجديدة هو قيام عمر بن حفصون بمحاولات للتحالف مـع المولدين الثائرين فى أقصى الشمال فى الثغر الأعلى — سرقسطة — سـنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م) ، وهذا ما يؤكد نجاح السياسة الجديدة التى تبناها الأمير عبد الله بعد انتصاراته الكبرى على ابن حفصون فى معـركة (بـلاى) •

جرت تفاصيل هذا التحالف الذى حاول به عمر بن حفصون الخروج من عزلته السـياسية والعسكرية فيما ذكر ابن حيان فى أحداث سنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م) • حيث قال : « وفيها انعقد الحلف بين امام المجرمين عمر بن حفصون ، والزعيم الفاسق محمد بن لب القسوى صاحب الثغر الأعلى على اجتماع الكلمة والتظاهر على امام الجماعة (٦٩) » • وجرت بين الطرفين سفارات انتهت بالاتفاق على عقد لقاء مشترك بين محمد ابن لب ، عمر بن حفصون ، فى بعض أطراف مدينة جيان ، ولم يتمكن محمد بن لب من حضور هذا اللقاء ، فأرسل ابنه لب بن محمد بن لب ، لينوب عنه فى المباحثات مع عمر بن حفصون ، وما ان وصل الابن لب الى مكان اللقاء ، حتى وصلته الأنباء بمقتل والده محمد بن لب على

---

(٦٨) المصدر السابق ، ص ١٥١ ، ١٥٢ ، (وعلى سبيل المثـال ، يروى صاحب الأخبار المجموعة أن القائد أحمد بن محمد بن أبى عبـدة الذى تولى أمر اخضـاع الثائرين حلفاء عمر بن حفصون : « جبى بعض نواحى الشرق ، وصالح قوما آخرين على بعثه أمـوال ضربت عليهم مع اقرارهم فى مواضعهم » ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ •) •

(٦٩) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٢٧ •

أبواب مدينة طليطلة فى أثناء حصاره لها . فعـاد الابن مسرعا الى بلاده ، دون أن يلقى عمر بن حفصون أو يتفق معه(٧٠) .

كان فشل عمر بن حفصون فى تحقيق هذا التحالف ضربة عنيفة لخططاته ، التى حاول بها الخروج من دائرة العزلة التى ضربتها حوله الامارة الأموية فى قرطبة ، وقد مثل ذلك نوعا من الضغط على المحتوى العقائدى لدى عمر بن حفصون ، وأفراد عائلته ، ويبدو أن هذا المحتوى كان ضعيفا . ففى سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م) أعلن عمر بن حفصون دخوله فى المسيحية وارتداده عن الاسلام ، وكشف بذلك عن نواياه الحقيقية من وراء حركته(٧١) . وترى بعض المصادر أن عمر بن حفصون كان يضمر التنصر فى نفسه قبل أن يعلنه رســـميا فى سنة (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)(٧٢) . وهذه حقيقة يؤكدها سلوك أفراد أسرة عمر بن حفصون أنفسهم ، كأبيه الذى يروى ابن حيان أنه ابتنى كنيسة فى منطقـــة ببشتر ، وهذه الكنيسة كانت موجودة قبل سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) ، أى قبل اعلان عمر بن حفصون لتنصره بست سنوات ، وهذا يعنى أن أسرة عمر بن حفصون ارتدت عن الاسلام ، وأشهرت هذا الارتداد ، وبنت الكنائس ، ولم يقم عمر بن حفصون بأى اعتراض من جانبه على مسلك أسرته ، وهذا يعنى أنه وافق هذا الاتجاه ، وأنه هو نفسه أضـــمر ما اعتقدته أسرته خلال هذه الفترة (٧٣) .

---

(٧٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٧١) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٧٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٧٣) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، (فعندما أرخ ابن حيان لسنة (٢٨٠ هـ) ذكر أن المطرف ابن الأمير عبد الله غـزا بالصائفة عمر بن حفصون ، وفى هذه الغزوة ، هدم منية الخاصـــة ، والكنيســة التى بناها والد عمر بن حفصون فى المنطقة ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .) .

والحقيقة أن حركات المولدين وثوراتهم فى شرق بلاد الأندلس وغربها اتسمت بضعف الجانب العقائدى عند القائمين بها ، وفى هذا يروى ابن القوطية أن المولدين كانوا يعلون من شأن سعدون السرنباقى — حليف عبد الرحمن بن مروان الجليقى الثائر على الامارة فى الثغر الأدنى فى بطليوس — وكانوا يقولون عنـــه : « انما هـــو السرور الباقى » (٧٤) • وقد أحدث سعدون وعبد الرحمن بن مروان الجليقى كما يروى ابن القوطية أيضا فى الاسلام : « أحداثا عظيمة يطـــول ذكرها وصارا فى القفر بين الاسلام والشرك »(٧٥) •

وقد اختلف بعض المؤرخين فى فهم عبارة ابن القوطية عن سعدون السرنباقى ، وعبد الرحمن بن مروان الجليقى ، التى قال فيها انهمـــا صارا « فى القفر بين الاسلام والشرك » • فرأى دوزى : أن العبارة تعنى أنهما حاولا انشاء ديانة جديدة ، تقوم على أساس التوفيق بين الاسلام والمسيحية ، بينمـــا رأى كوديرا أن ابن القوطية يعنى هنـــا بالاسلام والشرك بلاد المسلمين ، وبلاد النصارى • وعلى الرغم من أن الدكتور محمود على مكى يوافق على رأى كوديرا ، فان العبـــارة لا تحتمل كل هذه المعانى ، اذ هى تشير الى انحراف دينى لدى هاتين الشخصيتين ، ولا تشير بأى حال من الأحوال الى أنهما ابتكرا ديانة جديدة — كما رأى دوزى ، أو الى المعنى المادى — الذى رآه كوديرا — بأنهما أصبحا فى منطقة بين بلاد الاسلام وبلاد النصارى (٧٦) •

على كل حال فان عمر بن حفصون وجه بارتداده عن الاسلام ضربة قاصمة الى حركته التى أخذت تتهاوى منذ اللحظات الأولى التى أعلن

---

(٧٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٨ •

(٧٥) المصدر السابق ، ص ٨٨ ، ٨٩ •

(٧٦) ابـــن حيان : المقتبس ، ت : د . محمد على مكى ، ص ٣٤٤ ، هامش ص ٦٢٣ ، ٦٢٤ •

فيها تنصره ، فظهرت على الفور يقظة الاسلام ، وصلابته فى نفوس الكثيرين من المولدين الذين رفضوا المطالبة بحقوقهم خلف مرتد كافر ، فسارعوا الى التخلى عنه ونبذ قيادته لهم ، وهذا يعنى سلامة روح النضال التى تشبعت بها نفوس المولدين ، وهى تعكس أن النضال الذى قام به المولدون قبل ذلك خلف عمر بن حفصون ، كان من أجل الحصول على حقوقهم التى منحها لهم الاسلام ، ليعيشوا بها فى ظل الاسلام ، ومن ثم رفضوا هذا التحول عن الحضور الاسلامى فى بلاد الأندلس ، الذى شرع فيه عمر بن حفصون بارتداده عن الاسلام ، والارتماء فى أحضان حركة الاسترداد المسيحى والتحالف معها • فغابت عن عمر ابن حفصون قوة المولدين المسلمة ، التى آثرت — بعد هذه الحادثة — العودة الى صفوف الجبهة العربية الاسلامية فى بلاد الأندلس • ولم يتبق مع عمر بن حفصون سوى حفنة قليلة لم تستطع أن تواجه الأحداث وحدها ، فانهارت ، وراحت تختفى من أفق الحياة السياسية سريعا وتتحطم على صخرة قوة العقيدة الاسلامية التى نفذت الى أعماق المولدين فى الأندلس • وكان ذلك بمثابة اعلان عن أن اشتراكهم فى الحرب مع عمر بن حفصون قبل ذلك لم يكن فى مواجهة جماعة المسلمين أو العرب فى بلاد الأندلس ، وانما كان فى مواجهة بعض الانحرافات غير السليمة •

توالت ردود الفعل عنيفة على ابن حفصون ، بعد ارتداده عن الاسلام ، « فتبرأ منه خلق كثير ، ونابذه عوسجة بن الخليع — وكان من حلفائه — وبنى حصن قنيط ، وصار فيه مواليا للامير عبد الله محاربا لابن حفصون » (٧٧) • وخرج عليه أيضا يحيى بن أنتاله — صاحبه الأثير — فى جماعة من المسلمين (٧٨)• ويقول ابن خلدون :

---

(٧٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٣٩ •

(٧٨) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشـور ، ص ١٢٨ •

« فنبذ اليه أمراؤه بالحصون عهده »(٧٩) • ويقول ابن عذارى : « ورأى جميع المسلمين أن حربه جهاد ، فتتابعت عليه الغزوات بالصوائف والشواتى ، ولا ينى القواد عنه فى الحل والترحال »(٨٠) • حتى ألهبت هذه الصوائف والشواتى قرائح الشعراء من أمثال الشاعر ابن قلزم الذى عبر عن ذلك بقوله :(٨١)

ففى كل صيف وفى كل مشتى غزاتان منك على كل حال
فتلك تبيد العدو وهذى تفيد الامام بها بيت مال

كما أن عمر بن حفصون فقد كل تأييد كان يحظى به من سائر القوى فى بلاد المغرب ، حيث تنقطع أخبار علاقاته بالأغالبة ، وبالداعى الفاطمى فى بلاد المغرب فى نفس الفترة ، حيث لزمت المصادر الصمت عن الحديث عن أية علاقة فى ذلك الوقت بين عمر بن حفصون وهذه الأطراف فى بلاد المغرب •

وقع عمر بن حفصون تحت ضغط هائل من الأمير عبد الله الذى تحسن مركزه المادى والعسكرى كثيرا بعد ارتداد عمر بن حفصون عن الاسلام ، ولذلك لجأ هذا الأخير الى ملك الجلاقة ، وهو الفونسو الثالث ملك ليون(٨٢) • وتحالف معه كما يروى ابن خلدون (٨٣) • ولكن يبدو أن هذا التحالف لم يفد عمر بن حفصون من الناحية العسكرية كثيرا ، لأن المصادر لم تذكر أن هذا التحالف أسفر عن ثمرة عسكرية أو مادية مشجعة له ، ولذلك أخذ يبحث عن حليف جديد يخفف عنه ضغط الصوائف والشواتى ، فكان هذا الحليف هو ابراهيم بن حجاج

---

(٧٩) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ •
(٨٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٣٩ •
(٨١) المصدر السابق ، نفس الصفحة •
(٨٢) عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، القسم الأول ، ص ٣٣٧ •
(٨٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ •

الثائر على الأمير عبد الله فى اشبيلية (٨٤) • وكان هذا التحالف فى سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م) بعد تنصر عمر بن حفصون بعام واحد (٨٥) • وهـــذا يعنى أن الثـــوار فى المنــاطق الأخــرى مــن بـــلاد الأنــدلس ، كانوا يســعون الى تحقيــق مطــامع شـــخصية دون النظــر الى مصــلحة الاســلام والمســلمين ، ودون ادراك لمدى خطورة تحالفهم مع القوى المعادية للاسلام فى ذلك الوقت ، حيث أثبتت بعض المصادر أن ابراهيم بن حجاج أمد عمر بن حفصون بعد هذا التاريخ بمساعدات عسكرية كبيرة كان من بينها فرقة كبيرة من الخيالة ، انتفع بها ابن حفصون كثيرا فى منطقة البيرة ، وتدمير ، وجيان (٨٦) ، كما تضمنت هذه المساعدات مبالغ كبيرة من الأمــوال قويت بها شوكة عمر بن حفصون على حد تعبير ابن عذارى (٨٧) •

وبعد عامين من هذا التحالف وفى سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) التــقى

---

(٨٤) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ ، ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشـــور ، ص ١٢٩ ، (وكان ابراهيم بن حجاج من أكبر الثوار فى الأندلس على الأمير عبد الله ، وكانت الأحداث قد تطــورت بين ابراهيم والأمير ، الى اقرار ابراهيم بن حجاج على كورة اشبيلية ، وبعث ابراهيم ابنه عبد الرحمن رهينة عند الأمير عبد الله على صدق ولائه للامارة ، ولكن ابن حجاج أخذ يشتط على الأمير عبد الله الى أن طلب منه الطلاق سراح ابنه عبد الرحمن ، ورفض الأمير هذا الطلب ، فكان الــرد على ذلك من جانب ابراهيم بن حجاج هو التحالف مع عمر بن حفصون ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٣٦ •) •

(٨٥) ابن حيان : المقتبس ، ت ملشــور ، ص ١٢٩ • •

(٨٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٠٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٣٦ •

(٨٧) المصدر الســابق ، نفس الصفحة •

عمر بن حفصون بابراهيم بن حجاج فى قرمونة(٨٨) . ويـروى ابن القوطية خلافا لما ذكره ابن حيان ، أن الاجتماع كان فى العام الثالث، وهذا يعنى أن ابن القوطية وضع فى اعتباره السنة التى عقد فيهـا التحالف، وهى سنة (٢٨٧هـ/٩٠٠م)(٨٩) . وينقل ابن القوطية بعضا من الحوار الذى دار فى الاجتماع بينهما حيث قال ابن حفصـون لابراهيم بن حجاج : « اجمع لى خيلك ، وكل شجاع فيها وابعث الى بها مع العربى الشريف فجيل بن أبى مسلم الشذونى — وكان يتولى قيادة خيل ابن حجاج — فانى أعزم على لقاء ابن أبى عبدة فى أول حوز من أحوازى،وأرجو أن أقلعه،ثم نغتنم قرطبة فى اليوم الثانى»(٩٠). فقال له فجيل — وكان قائدا حصيفا صحيح الرأى والعقـل : « ياأبا حفص لاتستقل عدد ابن أبى عبده » (٩١) . فقال له ابن حفصون : « يا سيد العرب لا يجبنى عنه وما مقداره ، ومن معه ، ومعى ألـف وستمائة شجاع ، ومع ابن مستنة خمس مائة ، ولعل معـكم أنتـم خمسمائة ، فاذا اجتمع هؤلاء كلهم أكلناهم . فقال له فجيل : لعل ردعة أو هزيمة ، فما أطمعك فيه لأنى أعرف من أصحابه ما تعرفه »(٩٢) . وأيد ابراهيم بن حجاج رأى عمر بن حفصون ، وبث العيـون

---

(٨٨) ابن حيان : المقتبس ، ملشور ، ص ١٢٩ ، (قرمونية : ذكرها ياقوت بالفتح ثم السكون ، وضـم الميم وسكون الواو ، ونون مكسورة ، وياء خفيفة ، وهاء . كورة بالأندلس ، يتصل عملها بأعمال اشبيلية ، غربى قرطبة ، بينها وبين اشبيلية سبعة فراسخ ، وبين قرطبة اثنان وعشرون فرسخا ، وأكثر ما يقول الناس قرمونة ، (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤، ص ٣٣٠ .) .

(٨٩) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٠٩ .

(٩٠) المصدر السـابق، نفس الصفحة .

(٩١) المصدر السـابق ، نفس الصفحة .

(٩٢) المصر السـابق ، ص ١١٠ .

والجواسيس لاستطلاع موقف ابن أبى عبدة ، فوجدوه قد عبر وادى شنيل ، ودخل منطقة بنة واستبة •

وعلى الفور قامت هذه القوة المشتركة من خيالة ابن حفصون ، وخيالة ابن حجاج بغارة مفاجئة على قوات ابن أبى عبدة « ففلاه بعد طويل صبر وصدق مراس ، وانحاز عنهما (ابن أبى عبدة) بعد أن قتلا من رجاله ، وتخلص فى الصبر منهم حماة الحقيقة »(٩٣) • وقدر ابن القوطية خسائر ابن أبى عبدة من الأرواح بخمسمائة وثلاثة وأربعين جنديا(٩٤) • ويبدو أن احراز هذا النصر السريع كان بفضل القائد العربى فجيل حتى ان ابن القوطية يروى أنه « كان اذا اجتمعا (ابن حفصون وفجيل) لم يكن لابن حفصون أمر ولا نهى ولا تقدم ولا تأخر معه »(٩٥) •

ويرى بعض المؤرخين أن نتيجة هذه المعركة كانت غير ذلك ، وأن الهزيمة كانت من نصيب ابن حفصون وفجيل ، وأن الخسائر من الرجال كانت فى قوات عمر بن حفصون(٩٦) • ويبدو أن الجزء الأول من رواية ابن القوطية — الذى اعتمد عليه هؤلاء المؤرخون — لم يكن واضحا فأدى الى هذا الاضطراب فى تحديد من المنتصر فى هذه الموقعة(٩٧)•

---

(٩٣) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٢٩ ، (ففلاه) كذا فى الأصل .

(٩٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١١٠ .

(٩٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٩٦) د. خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ٢٩٨ .

(٩٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (جاء هذا الجزء من الرواية على النحو التالى : « فنهض اليه فألفاه مضطربا ، فتحرك اليه القايد بمن معه فدارت على القايد وعلى من معه جولة ذهب منها خمس مائة وثلثة وأربعين ممن قطف رأسه من الحشد ، ونفل العسكر وانعقد رجال الحرب فسلم جميعهم فلم يصب منهم أحد » المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

على الرغم من أن رواية ابن حيان التى ذكرناها تحدد بما لا يدع مجالا للشك أن المنتصر كان عمر بن حفصون وفجيل ، علاوة على أن باقى رواية ابن القوطية تؤيد ما ذهبنا اليه من انتصار عمر بن حفصون • فاذا ماانطلقنا مع الأحداث التى جرت بعد ذلك نتابعها وجدنا ، أن عمر ابن حفصون أخذته نشوة النصر فأرسل الى ببشتر وما يتبعها من الحصون يستنفر رجاله واستطاع أن يجمع خمسة عشر الفا من الرجالة : «فلما أعجبه كثرة عددهم ركب بكل من معه ثم أتى فجيل فقال له : بسم الله ياسيد العرب ، فقال له فجيل الى أين ؟ قال له : الى ابن أبى عبدة قال له يابا حفص خصلتين فى نهار واحد تحكم على الله ، واستقلال لما أنعم الله ، قد لطمته (ابن أبى عبدة) لطمة يتكور فى ذلها عشرة أعوام حتى تمكن منك مثلها ، فاحترز منه جهدك ، وتحفظ طاقتك فقال له (ابن حفصون) ، نكاثره ونهجم عليه فى العسكر فنغطية ، وكثير له أن يركب فرسه » (٩٨) • وواضح من الحوار الذى دار فى باقى رواية ابن القوطية أن المنتصر فى استبة كان عمر بن حفصون •

تحرك عمر بن حفصون وفجيل للمرة الثانية للقاء ابن أبى عبدة ، رغم تحذيرات فجيل الذى قال لابن حفصون : « اللهم انى برىء من سوء هذا الرأى(٩٩) » • وكان ابن أبى عبدة يصلى العصر فى موقعه ، بينما أصحابه يعدون طعاما يأكلونه ، فاذا بأحدهم ، وهو عبد الواحد الروطى « وكان ممن جمع له العقل والشجاعة ، فقال : ياصحابنا طمع والله فينا ، وكأنى أرى ابن حفصون مقبلا بركبه ورجله فثار القوم الى سلاحهم ، وصاروا على خيلهم ، ثم قال بعضهم لبعض ، اطرحوا الرماح من أيديكم ، وحولوها الى السيوف ، ففعلوا ، وصدموا ابن حفصون

---

(٩٨) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١١١ ، (يابا) كذا فى الأصل •

(٩٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة •

ومن معه صدمة ، فأصيب ممن كان معه ألف وخمس مائه (١٠٠) » .

وكان لابن حفصون ابن أخ مرتهن عند الأمير عبد الله فى صلح كان قبل ذلك ، ويبدو أن ذلك الصلح كان فى سنة (٢٨٨هـ/٩٠١م) وهو الذى أشار اليه ابن عذارى حين أرخ لهذه السنة (١٠١) . كما كان لابراهيم ابن حجاج هو الآخر ابنه عبد الرحمن مرتهن عند الأمير عبد الله . « خرج الأمير عبد الله الى السطح ، وأمر باخراج ولد ابن حجاج ، وابن أخى ابن حفصون ، وضرب رقابهما ، فنفذ قتل ابن أخى ابن حفصون أولا (١٠٢) » . وهنا بادر بدر مولى الأمير عبد الله — الذى كان يشاهد قتل الرهائن — فقال له : «يامولاى قد نفذ قتل ابن أخى ابن حفصون ، فان قتل ولد ابن حجاج معه ، عقدت ما بينهما (من تحالف) الى الموت ، وابن حجاج يرجى ، وابن حفصون لا يرجا فدعا (الأمير عبد الله) بالوزراء وشاورهم فيما قال (بدر) ، فصوبوا رأيه ثم أشار بدر عند خروج الوزراء عنه بمكارمة ابن حجاج واسلام ابنه اليه ، وتضمن بدر طاعته وفيئته » (١٠٣) .

ولا شك أن رأى بدر كان يتفق مع سياسة لأمير عبد الله التى تبناها وتمسك بها بصفة خاصة بعد انتصاره فى معركة (بلاى) ، والتى استهدفت فك عرى أى تحالف يستفيد منه عمر بن حفصون ،

---

(١٠٠) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١١١ ، ١١٢ ، (واكتفى ابن خلدون بالتعليق على هذه المعركة بقوله : « فاستنجد (ابن حفصون) بابراهيم بن حجاج الثائر باشبيلية ولقياه فهزمهما » . ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .) .

(١٠١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ، وانظر ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٣٣ .

(١٠٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١١٢ .

(١٠٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

وموادعة أى ثائر على الامارة ، فى أية فرصة تحين أمامه ، ليتخذ من موادعته سبيلا للعمل فى جبهة أخرى من جبهات الخلاف عليه ، وقد رأى الأمير عبد الله ، ووزراؤه صواب رأى بدر اذ ان هذه الخطوة ستنسف التحالف القائم بين عمر بن حفصون وابراهيم بن حجاج ، ومن ناحية أخرى ستفتح الطريق أمام استعادة الامارة فى قرطبة لسيادتها على اشبيلية وما حولها ، وتأمين غرب الامارة من أية أخطار قد تؤذيها فى المستقبل .

ويرى ابن عذارى أن ابراهيم بن حجاج نفسه كان يسعى لهذا الهدف أيضا وهو كسب ثقة الامارة فى قرطبة عن طريق بعض أعوانه فى بلاط قرطبة فيقول : « وفى خلال ذلك لم يزل ابراهيم يدسس ويرسل من يشير على الأمير باطلاق ولده ويتضمن له عوده الى الطاعة ، متى وافق السلطان على ذلك »(١٠٤) . ورواية ابن القوطية تؤكد أن بدر — مولى الأمير عبد الله — كان أحد هؤلاء الأعوان حيث « دس (بدر) الى الخازن التجيبى ، فكتب الى الأمير يصوب رأى بدر ويتضمن ذلك معه »(١٠٥) .

أصدر الأمير عبد الله على الفور مرسوما رسميا بتولية ابراهيم ابن حجاج على اشبيلية ، وأخيه محمد على قرمونة ، وأطلق سراح عبد الرحمن بن ابراهيم ، وأرسله ومرسوم الولاية مع التجيبى الخازن، الذى أبرم الاتفاق بعد ذلك مع ابن حجاج(١٠٦) . وتلت هذه الخطوة من جانب الأمير عبد الله خطوات من جانب ابن حجاج ، أثبتت سلامة سياسة الأمير عبد الله ، وقدرتها الفائقة على انتزاع زمام المبادرة ،

---

(١٠٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .
(١٠٥) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١١٢ .
(١٠٦) المصدر السابق ، ص ١١٢ ، ١١٣ ، وأنظر ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .

من خصمه العنيد عمر بن حفصون . اذ حل ابن حجـاج ما كان من تحالف بينه وبين عمر بن حفصون وانحصرت العلاقة بينهما فى نطاق ضيق لا يتعدى المراسلة ، وبعض الهدايا المتبادلة بينهما(١٠٧) .

وبدأت الامارة تجنى ثمار سياستها « فصلحت أحوال قرطبة بانفتاح طريق اشبيلية وموالاة صاحبها (للامير عبد الله) وصـارت سـببا لانفتاح باب غربى الأندلس ، ودرور المعائش منه بقرطبة »(١٠٨) علاوة على أموال الجباية التى وردت للامارة من اشبيلية ، فدعمت موقفهـا السياسى والعسكرى أمام خصومها ، وخلقت انتعاشا اقتصاديا واضحا أشار اليه المؤرخون من أمثال ابن القوطيـة ، وابن عـذارى ، وابن حيـان(١٠٩) .

ومضت أوضاع عمر بن حفصون بعد ذلك من سىء الى أسوأ حيث فقد أى أمل فى التحالف مع أية قوة من القوى المعـادية للامارة فى قرطبة سواء كانت هذه القوة من المولدين أو العرب . وفى نفس الوقت لم تترك له الامارة أية فرصة ليلتقط أنفاسه ، فتتابعت الصوائف على ابن حفصون تقض عليه مضجعة منذ سنة (٢٩١هـ/٩٠٣م) ، وحتى وفاة الأمير عبد الله فى سـنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) ، وخلال هذه المـدة نلاحظ أن الصـوائف كانت سـنوية لم تتـوقف الا خـلال سـنتى (٢٩٣هـ/٩٠٥م) ، (٢٩٤هـ/٩٠٦م) ، وتولى قيادة هذه الصـوائف الأمير ابان ابن الأمير عبد الله ، والقائد المشهور أحمد بن محمد بن

---

(١٠٧) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١١٣ .

(١٠٨) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٣١ .

(١٠٩) المصدران السابقان ، نفس الصفحات ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ، (يقول ابن القوطية : « وصفت طاعة ابـن حجاج لعبد الله ، وأورد الجباية والهدايا ، وصلحت أحوال أهل قرطبة ، بانفتاح باب اشبيلية اليها وكان سببا بانفتاح باب الغرب كله بالميـر اليـه » .

أبى عبده ، وتركزت هذه الصوائف فى منطقة ببشتر ، مما يعنى أن حركة عمر بن حفصون انحصرت فى هذه المنطقة • وأنها لم يعد لها نشاط يذكر خارجها(١١٠) ، باستثناء ما يذكره بعض المؤرخين من محاولة عمر بن حفصون الاستفادة من الأوضاع الجديدة فى بلاد المغرب ، عندما أفل نجم الأدارسة والأغالبة سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) ، بظهور الدعوة الفاطمية(١١١) •

فيروى ابن خلدون : أن عمر بن حفصون بعث « بطاعته للشيعة عندما تغلبوا على القيروان من يد الأغالبة ، وأظهر بالأندلس دعوة عبيد الله »(١١٢) وما لبث الفاطميون أن استجابوا اليه بسرعة ، ووجهوا اليه اثنين من أمهر دعاة الشيعة ، ومعهما الخلع ، « وخاطبوه بالحض على التزام طاعتهم واقامة دعوتهم »(١١٣) •

ويبدو من تطور العلاقات بين الفاطميين ، وعمر بن حفصون ، أن الفاطميين كانوا يجهلون حقيقة الأوضاع فى بلاد الأندلس ، وبالذات وضع عمر بن حفصون فى هذه الفترة ، لأن ابن حفصون كان قد ارتد عن الاسلام ، وقد ألقى ذلك ظلا قاتما على العلاقات بين الطرفين ، ولذلك وجد الداعيان ، أن الدعوة الفاطمية ، تتعارض مع ميول عمر بن حفصون ، ومسلكه الدينى ، وأطماعه الشخصية ، ولذلك عاد الداعيان الى المغرب ثانية ، ومعهما بعض الهدايا (١١٤) • وعلى الرغم من ذلك فقد ظل الفاطميون يدعمون ثورة عمر بن حفصون بكثير من المعونات المادية ، التى ظلت تحملها سفن عمر بن حفصون من بلاد المغرب ، حتى

---

(١١٠) ابن حيان : المقتبس ، ت : ملشور ، ص ١٤٠ — ١٤٧ •

(١١١) د• الحريرى : مقدمات البناء السياسى للمغرب العربى ، ص ٢٠٠ — ٢٠٦ •

(١١٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ •

(١١٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٦ •

(١١٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة •

اللحظات الأخيرة فى عمر الثورة أيــام عبد الرحمن الناصر (١١٥) . وواضــح أن ذلك كان نابعــا من موقف العداء الواضــح والصريح بين الفاطميين والأمويين فى الأندلس (١١٦) .

ويــرى بعض المؤرخين أن نجاح الدعاية الفاطميــة فى اجتذاب أنصــار لها فى بلاد الأندلس ، كان محدودا للغاية ، لما كان للمذهب السنى هناك من سيادة طاغية متأصلة فى نفوس الأندلسيين (١١٧) . ولم يقطع هذهالأحداث سوى وفاة الأمير عبد الله فى مســتهل ربيع الأول سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م)(١١٨) .

---

(١١٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ ، ابن حيان : المقتبس ، ت : ب . شالميتا ، جـ ٥ ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(١١٦) د . محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، المجلد الثانى ١٩٥٤ ، د . أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ط ١٩٦٨ ، ص ٦٧ .

(١١٧) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(١١٨) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٩٨ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣١ ، (وبينما يروى ابن عذارى أن الأمير عبد الله ، توفى فى يوم الخميس ، مستهل ربيع الأول سنة ٣٠٠ هـ عن اثنتين وسبعين سنة ، يذكر النويرى أن يوم الوفاة كان الثلاثاء غرة ربيع الأول من نفس السنة عن سبعين عاما فقط ، ولو صحت رواية النويرى ، لكان مولد الأمير عبد الله فى سنة ٢٣٠ هـ ، وهو ما لم يذكره أحد من المؤرخين ، انظــر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط ، ورقة ٢٩ .) .

الفصل الخامس

عبد الرحمن الناصر ونهاية ثورة عمر بن حفصون

(٣٠٠هـ/٩١٢م) – (٣١٦هـ/٩٢٨م)



اعتلى عبد الرحمن الناصر عرش الدولة الأموية فى الأندلس سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) ، دون أن ينازعه أحد من أعمامه ، أبنــاء الأمير عبد الله ، أو أحد من اخوة جده . حيث تطلع الجميع اليه ، وعقـدوا عليه الآمال فى تخليص الدولة مما تردت فيه من محن وفتن وثورات ، وكان جده عبد الله « يخطبه من دون بنيه ويومى اليه ويرشحه لأمره ، ويقعده فى الأعياد والمواسـم مقعد نفسه ، ويأمر بالسـلام عليه ، فتعلقت آمال الدولة به ولم يشكوا بمصير الأمر اليه »(١) . ويقال ان جده عبد الله « رمى بخاتمه اليه ابانة منه لاستخلافه »(٢) . وتـدل العبارة التى وجهها اليه عمه أحمد بن عبد الله فى الكلمة التى ألقـاها أمامه عند البيعة ، على أن اختيار عبد الرحمن الناصر لخلافة جده ، كان أمرا يتعلق بالوضع السياسى المتدهور فى بـلاد الأندلس ، وأن الجميع كان يثق فى قدراته الهائلة على تجاوز صعوبات هـذه المرحلة على الرغم من أن عبد الرحمن لم يكن قد تجاوز بعد الثالثة والعشرين من عمره ـ حيث قال هذا العم فى كلمته : « والله لقد اختـارك الله

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٤ ، والمعروف أن عبد الرحمن الناصر هو عبد الرحمن بن محمد بن الأمير عبد الله ، وكان والده محمد قد قتل بيد أخيه المطرف ، وكان مولد عبد الرحمن ، قبل مقتل والده محمـد بأسابيع قلائل ، فنشأ فى كفالة جده ، الذى حدب عليه ، وأسكنه معـه بالقصر ، دون سائر أولاده ، وحذق عبد الرحمن كثيرا من العلوم والمعارف، وبرع فى فنون الحرب والفروسية ، وأصبح منذ حداثة سنه مثارا لاعجاب الجميع . عنان : دولة الاسلام من الأندلس ، القسم الثانى ، ص ٣٧٣ ، د. أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ، ج ٤ ، ص ١٠٢ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .

على علم للخاص منا والعام ، ولقد كنت أنتظر هذا من نعمة الله علينا ، فاسأل الله ايزاع الشكر وتمام النعمة والهام الحمد »(٣) .

بدأ عبد الرحمن الناصر عهده باصدار اعلان عام الى جميع الثوار المستقلين فى نواحيهم ، يحمل لهم ألوانا من الوعود الطيبة من مال ونفوذ وسلطان ، اذا هم عادوا الى زمرة الجماعة ، وانضووا تحت راية الوحدة ، وفى نفس الوقت هدد عبد الرحمن من لم يستجب اليه من هؤلاء الثوار — بالحرب والويل والتشريد ، ومصادرة الأموال(٤). وكان هدف عبد الرحمن من وراء ذلك ، كما يقول ستانلى لين بول ، تجريد هؤلاء الثوار من كل عناصر القوة التى يتمتعون بها ، والعمل على ضمهم اليه ، ومن بين هؤلاء الثوار قوى الأرستقراطية العربية القديمة(٥) وبالتالى فان هذه الخطوة كانت ستؤدى الى حرمان عمر بن حفصون من الاستفادة من التحالف معهم . وقد سارع كثير من هذه القوى الثائرة الى تلبية نداء الأمير الجديد ، لأنها ملت الحرب ، وكرهت شرورها ، فقد دمرت عمران بلادهم ، وأضرت بأمنهم وتجارتهم وأموالهم(٦) .

وكانت ثورة عمر بن حفصون تشكل أعتى المشكلات التى كانت فى انتظار عبد الرحمن الناصر ، والذى لا شك فيه أن الناصر لم يبدأ دوره فى القضاء على هذه الثورة من فراغ ، حيث أسفرت جهود جده — الأمير عبد الله ، وبصفة خاصة خلال عشر السنوات التى سبقت وفاته،

---

(٣) عنان : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ ، نقلا عن الأوراق المخطوطة الخاصة بعهد الناصر ، بالخزانة الملكية بالرباط برقم ٨٧ .

(٤) د. أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٨٠.

(5) Lane-Poole, S., The Moors in Spain, London (1887), p. 114.

(٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

عن تجميد نشاط الثائر وحصر ثورته فى منطقة ببشتر التى كانت مركزا لثـــورته •

بدأت المرحلة الأولى من خطة الأمير عبد الرحمن الناصر للقضاء على ثورة عمر بن حفصون ، بالقضاء على صغار الثوار الذين تحيط حصونهم بمنطقة عصيان عمر بن حفصون ، والذين استمد منهم هـــذا الثائر كثيرا من عناصر قوته وصـــلابته(٧) • وعلى حسب رواية ابن عذارى — التى تعتبر من أغزر روايات المؤرخين التى تحمل تفصيلا عن الوقائع التى جرت بين الناصر وابن حفصون — بدأت هذه المرحـــلة بحملة قوية ضخمة استمرت ثلاثة أشهر ، خرج بها عبد الرحمن الناصر من قصر الامارة فى قرطبة يوم الخميس لثلاث عشرة ليـــلة خلت من شعبان سنة (٣٠٠هـ/٩١٣م) (٨) • والجديد هنا أن طائفة الصقالبة ، بدأت تظهر خلال جيوش الناصر منذ هذه الحملة ، فكان منهم كثير من الجند والقادة ، حيث بلغت هذه الطائفة ذروة تضخمها ونفوذها أيام النـــاصر(٩) •

وكانت القاعدة الأساسية التى بنى عليها الناصر سياسته مـــع هؤلاء الثائرين بهذه الحصون ، هى استنزالهم ، واعطاؤهم الأمان على

---

(٧) د. أحمد بدر : تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجـــرى ، ط ١٩٧٤ ، ص ٧ •

(٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٦٠ •

(٩) عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، القسم الثانى ، ص ٢٤٩ ، وهؤلاء الصـــقالبة ، استجلبهم الأمويون منذ أيام عبد الرحمن الداخل ، ومن جاء بعده من أمراء بنى أمية على الأندلس ، وكانوا من العنـــاصر السلافية التى كانت تعيش شمال يوغوسلافيا ، ومن الفـــرنج وهم من القبائل الجرمانية التى احتلت فرنسا فى القرن السادس الميلادى ، ومن اللومبارديين والغاليين ، وأشبهت هذه العناصر فى تكوينها عناصر المماليك التى كانت فى مصر بعد ذلك . المرجع السابق ، نفس الصفحة ،
Lane-Poole, op. cit., p. 114, 115.

أنفسهم وذويهم ، والحاقهم بقرطبة ، أوأ ضمهم الى جيشه فيحاربون معه ، ثم يقوم بشحن حصونهم بجنده وعماله ، يتم هذا ، بعد أن يكون قد تخلص من اتباع ابن حفصون الموجودين فى هذه الحصـــون من المســيحيين بقتلهم ، وفى بعض الحالات ، كان يهــدم الحصن ان لم يكن له فائدة ، أو اذا كانت هناك خطورة من بقائه(١٠) •

أسفرت هذه الحملة عن نتائج شديدة الأهمية حيث تقدم نفــوذ عبد الرحمن الناصر فى الجنوب حتى الشواطىء المطلة على البحــر المتوسط عند مالقة ، وأشرف على هذه المدينة البحرية الهامة سعيد بن عبد الوارث عامل عبد الرحمن الناصر عليها (١١) • وكان لمالقة أهميــة كبرى فى هذه المرحلة ، اذ كانت مركزا لرصد تحركات سفن عمر بن حفصون العاملة فى البحر المتوسط ، بين بلاد الأندلس وشواطىء بلاد المغرب من ناحية ، ومن ناحية أخرى بين المراكز البحرية التى يحتلهــا عمر بن حفصون ، والموانىء البحرية التى تهيمن عليها القوى المسيحية التى كانت تعاونه ، وتقدم له كثيرا من المساعدات •

وفى الداخل استولى عبد الرحمن الناصر فى كورتى جيان ورية على سلسلة من الحصون القوية منها حصن المنتلون ، وحصن شمنتان ، وحصن الشارة ، وبذل الأمان لأصحاب هذه الحصون ــ حلفاء عمر بن حفصون ــ من أمثال « عبيد بن أمية بن الشالية ، واسحاق بن ابراهيم صاحب منتشية ، وعكاشة بن محصن صاحب وادى بنى عبــد الله ، وسلمه بن عرام صاحب بحيلة ، ومنذر بن حريز صاحب بعنويرة ، وأفلح ابن عروس صاحب بكور ، وفحلون بن عبد الله صاحب سسانة ، ونزلوا عن معاقلهم اليه ، وكلهم مذعن بطاعته ، ومحكم فى نفسه فأوسعهم

---

(١٠) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٠ ــ ١٦٣ •

(١١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦١ •

أمير المؤمنين — رحمه الله — فضله وألبسهم عفوه ، وأخلى تلك المواضع منهم ، وقدم أولادهم ونساءهم الى قرطبة ، واستعمل فى الحصون ثقات رجاله » (١٢) • وكان لهذه السياسة أثرها فى دعم قوة عبد الرحمن الناصر بما انضم اليه من هؤلاء الثائرين وجندهم ، فكانت قــوة عبد الرحمن الناصر تتضخم بمرور الوقت ، وبانتصاراته المتتابعة •

تقدم عبد الرحمن الناصر بعد أن دعم وجوده فى كورتى جيــان ورية الى كورة البيرة « فلما احتلها تداعى أهل حصون تاجلة ، وبسطة ، ومربيط ، والبراجلة ، والأسناد ، الى النزول والطوع وأخلوا حصونهم ، فأحــكم الناصر رحمــه الله أمر ذلك الجانب كله ، وضبط المعــاقل برجاله »(١٣) وتتابعت ضربات الناصر على حصون عمر بن حفصون وعملائه فى هذه الجهات ، فاستولى على حصون وادى آش ، وحصن

---

(١٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ، وانظر ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ص ٦٠ ، الذى ذكر معلومات تفصيلية عن هذه الحصون ، وعن الثائرين فيها ، فحض المنتلون أسلمه صاحبه سعيد بن هذيل ، ولاذ بالأمان ، وأسلم حصنه الى الناصر بعد حصار مرير ، وعبيد الله بن الشالية صاحب حصن شمنتان وقــلاعه التى كان عددها يقارب المائة ، استسلم الى الناصر بلا حرب ، فولى الناصر على هذا الحصن وقلاعه يحيى بن الليث ، وحصون بنى هابل استنزل الناصر أصحابها عنها حصنا حصنا ، واستنزل أيضــا ابن عــروس عن حصن بكور ، ودحون بن هشام عن حصن قاشترة ، وابن عبد الأعلى عن حصن شنترة ، وفحلون عن حصن اقليق • ،

(شمنتان : بلد بالأندلس من عمل المرية ، ذكر ابن بشكوال انها من ناحية جيان ، وواضح من خلال هذه الدراسة انها من عمل جيــان حسبما ذكر ابن عذارى ، ياقوت : معجــم البلدان ، ج ٣ ، ٣٦٤ •) •

(١٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ،

(بســطة : بالفتح مدينة بالأندلس من أعمال جيان ، ياقوت : معجــم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٢٢ •) •

قنيانة ، ومعاقل بشبرة ، وعبر جبل الثلج ، واشتبكت فرقة من جنده بقيادة عباس بن عبد العزيز ، بمعاونة أهل مدينة البيرة بالقرب من غرناطة مع عمر بن حفصون ، فهزموه ، وأسروا حفيده عمر بن أيوب ، كما أصابوا أحد أبناء عمر بن حفصون بجراح أثخنته (١٤) •

وتوج الناصر حملته بحصار حصن شبيلش « وكان من أعظم حصون ابن حفصون منعة ، وأصعبها مراما ، وأوعرها مكانا ، واليه كان انضوى كل مشرك تفلت من الحصون المتقدمة الذكر »(١٥) دام حصار الحصن خمسة عشر يوما ، استسلم من فيه بعدها ، وأسلموا أصحاب ابن حفصون الذين كانوا عندهم ، فأمر الناصر بضرب رقابهم وأبادهم عن آخرهم(١٦) •

عاد الناصر الى قرطبة بعد اثنين وتسعين يوما من خروجه منها، وفي طريقه استولى على شلوبينية ، وحصن اشتبين ، وحصن بنه فراطة، وأصبحت كورة البيرة نظيفة تماما من عملاء ابن حفصون ، ومن أى

---

(١٤) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٦١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ،

(وادى آش : الشين مخففة ، وربما مدت همزته ، مدينة الأشات من كورة البيرة ، وتعرف بوادى آش ، وتنحدر اليها أنها من جبال الثلج بينها وبين غرناطة ، ربعون ميلا ، ياقوت : معجم البلدان ، ط ا ص ١٩٨ •) •

(١٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٢ •

(شبيلش : بضم أوله وكسر ثانيه ، ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ، ولام مكسورة وشين معجمة ، حصن حصين بالأندلس من أعمال البيرة قريب من برجة ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٢٤ •) •

(١٦) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٦١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦ ، ١٦٣ •

مظهر من مظاهر المقاومة للسلطة الشرعية الجديدة فى قرطبة (١٧) . وقد أشـــاد ابن حيان بنتائج هذه الحملة حيث قال : « وانتهت فتوحة (الناصر) فى الكورتين جميعا فى غزوته هذه الى سبعين حصـــنا من أمهات الحصون ، كل حصن منها كان عالى الاســـم بعيد الصيت ملجأ لذوى الخلاف والمعصية ، قد كانت فيه وقائع معلومة ، وانضم الى هذه الحملة مافتح بفتحها من قصابها ، ومراقبها وبناتها وذواتها قاربة الثلاث مائة مابين حصن وبرج . . . وهذا فتح لم يسمع بمثله لملك من ملوك الأرض قبله فى غزوة واحدة فى سالف الأزمنة (١٨) » .

فى الثامن من شوال ســـنة (٣٠١هـ/٩١٤م) ، قام عبد الرحمن الناصر بحملته الثانية على معاقـــل ابـــن حفصـــون فـــى الجنـــوب الأندلسى (١٩) . وتعتبر هذه الحملة مكملة لحملته الأولى ، ويلاحظ فى هذه الحملة ظهور قوة الأسطول الأموى فى غرب البحر المتوسط ، لضرب سفن ابن حفصون حيث مكنت سيطرة الناصر على مدينة مالقة — كما أسلفنا — من مراقبة هذه السفن ورصد تحركاتها . ولذلك فضل عبد الرحمن الناصر أن يكون حصن طرش — الذى كان من أهم حصون عمر ابن حفصون الساحلية — أول مقصده فى هذه الحملة « فحصر من كان فيه ، وأقام عليه خمســـة أيام يغاديهم بالحرب ويماســـيهم ، ويقطع

---

(١٧) المصدر السابق ، نفس الصفحات ،

(شلوبينية : بفتح أوله ، وبعـــد الواو الســـاكنة باء موحدة مكســـورة ، ثـــم ياء مثنـــاة مـــن تحت ، ونـــون مكســـورة ، ويـــاء أخرى خفيفة مثناة من تحت ، حصن بالأندلس من أعمـــال كورة البيرة على شاطىء البحر ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٣، ص ٣٦٠) .

(١٨) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٦١ ،

(١٩) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٠٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .

ثمارهم ، ويحطم معايشـــهم ويقتل من تظاهر منهم(٢٠) » وفى أثناء الحصار صدت قوات الناصر ، بعض الســـفن التابعة لابن حفصـــون محملة بالمؤن والعتاد ، قادمة من العدوة المغربية ، فقامت القوة البحرية الأموية بضرب هذه السفن ، وشلت حركتها ، وفرضت حصارا بحريا قويا على الساحل ، منع أى نشاط بحرى لسفن عمر بن حفصون (٢١) .

وتعددت روايات المؤرخين حول هذه الأحداث بعضها يتحدث عنها باختصار شديد كابن عذارى فيقول : «وألفيت للمشرك عمر بن حفصون مراكب فى البحر كانت تميره من العدو فأحـــرق جميعها(٢٢) » وهذا يعنى تدمير هذه القوة البحرية التابعة لابن حفصون ، ويعنى أيضا أن الجهة الوحيدة التى كانت تتعامل معها هذه الســـفن هى جهة العدوة المغربية ، التى ســـيطر عليها الفاطميون — العدو اللدود للأمويين فى الأندلس — ولم يشر ابن عذارى الى ما بين ابن حفصـــون ، والقوى المسيحية الأخرى من تعاون ومساعدات تنقل على ظهر هذه السفن .

اما رواية ابن حيان التى نجدها فى القطعة الخامسة التى حققها شالميتا ، وفيها كثير من التفاصيل حول هذا الموضوع ، فهى تذكر أن عبد الرحمن الناصر أخرج « الحشم لطلبها (سفن ابن حفصون) وأخذها . وقد كان الفسقة (أتباع عمر بن حفصون على هذه السفن) نجوا بها فى البحر ، فأدخل من الجند خلفهم من مضى فى اثرها ، وقبض عليها ، فقيدت بأزمتها الى ضـــفة البحر ، وأحرق جميعها بين يديه (٢٣) »

---

(٢٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ،
(طرش) : بضم أوله وتشديد ثانيه وضمه أيضا وآخره شين معجمـــة ، ناحية بالأندلس ، تشتمل على ولاية وقرى ، ياقوت : معجـــم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩ .) .

(٢١) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٢٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .

(٢٣) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

وتمضى الرواية بعد ذلك فتتحدث عن الاجراءات الوقائية التى اتخذها الناصر لحماية سواحل الدولة ، ولفرض حصـار بحرى على عمر بن حفصون ، حيث تذكر نفس الرواية أن عبد الرحمن الناصر ، استدعى «جملة من المراكب البحرية من مالقة واشبيلية ، وغيرها من مدن الطاعة ، بركابها من أولى الاستقامة فأقامها بباب الجزيرة ، وشحنها بصنوف الأسلحة والعدد ، وأعد فيها النفط ، وآلات حرب البحر ، وأدخل فيها ركابها من عرفاء البحريين والنواتية الفره ، وسواس البحر الأجرياء عليه وأمرهم بالتجول فى السواحل كلها ، من حد الجزيرة الخضراء الى تدمير ، وقطع مرافق البحر كلها عن ابن حفصون واصحابه (٢٤) » •
وواضح من هذا النص عظم المساعدات التى كان يتلقاها ابن حفصون من الفاطميين فى العدوة المغربية ، على الرغم من أن الفاطميين قـد سحبوا الداعيين اللذين أرسـلاهما قبل ذلك لابن حفصون بسـبب ارتداده عن الاسلام الى المسيحية (٢٥) • ويبدو أن ذلك لم يؤثر فى تغيير الهدف الاستراتيجى للفاطميين — اذ جاز استخدام هذا التعبير — اذ سعوا بعد ذلك لدعم ابن حفصـون ومساعدته لأنهم رأوا فى ذلك أضعافا لخصومهم الأمويين — عن طريق ابن حفصون — مما قد يمهد لهم السبيل بعد ذلك لتغيير الوضع فى صالحهم فى بلاد الأندلس ، كما غيروه قبل ذلك فى بلاد المغرب •

---

(٢٤) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، جـ ٥ ، ص ٨٧ ، ٨٨ ، يعتبر النفطأو النار البحرية من أهم الأسلحة التى استخدمتها الأسـاطيل البحرية فى البحر المتوسط ، ولم يعرف العرب سر هذا النوع من الأسلحة فى مبدأ قتالهم فى البحر المتوسط . لأن الروم احتفظوا لأنفسهم بسر هذه النار ، غير أن العرب لم يقفوا مكتوفى الأيدى أمام هـذا السلاح وتمـكن علماؤهم فى القرن العاشر الميلادى الرابع الهجرى — أى فى مطلع الفتـرة موضوع هذه الدراسة — من التوصل الى سر تركيب هذه النار • وهذا النص يكشف عن أن العرب استخدموه خلال السـنوات الأولى من مطلـع القرن الرابع الهجرى ، أنظر د. ابراهيم العدوى : قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط ، طبعة ١٩٦٣ ، ص ١٧٨ — ١٨٣ •

(٢٥) أنظر فيما سبق ، ص ٩٣ ، ٩٤ •

أما ابن خلدون فلديه رواية غاية فى الايجاز ، ولكنها تتضمن كثيرا مما جاء فى الروايتين السابقتين لابن عذارى ، وابن حيان حيث يقول : «وانتهى (عبد الرحمن الناصر) الى الجزيرة الخضراء ، وضبط البحر ، ونظر فى اساطيله ، واستكبر منها ، ومنع ابن حفصون من البحر (٢٦) » . وكان هذا اطار سياسة الأمير عبد الرحمن الناصر البحرية العامة التى استهدف من ورائها تحصين سواحل الأندلس الجنوبية وثغورها ، لمنع الفاطميين من القيام بأى هجوم مفاجىء من المغرب على بلاده ، ولازالت آثار القصر الذى بناه فى طريف باقية حتى اليوم (٢٧) .

وبينما كان الأسطول الأموى يثبت وجوده فى مياه الشاطىء الأندلسى، المواجهة لبلاد العدوة المغربية التى يسيطر عليها الفاطميون ، كان عبد الرحمن الناصر بجيوشه البرية يقلم أظافر عمر بن حفصون ، ويهاجم معاقله ، ومعاقل عملائه وحلفائه الواحد تلو الأخر ، فى كورة رية والجزيرة ، حتى تسارع الى الناصر « كل من كان بتلك الناحية من أهل شانر ، وفج وسيم ، وقلبيرة والقصر ، وما انتظم بها من أحواز الجزيرة فى الدخول فى الطاعة والاعتصام بها من الهلكة ، فقبلهم الناصر وأمنهم وسكن أحوالهم (٢٨) . وكانت أقوى المعارك التى خاضها الناصر فى هذه الحملة ، المعركة التى واجه فيها عمر بن حفصون ، ومن انضم اليه من النصارى عند حصن طرش . وفى هذه المعركة هزم الناصر ابن حفصون ، وقتل كثيرا من اتباعه ، وأرسل برؤوسهم الى قرطبة ، التى عاد اليها بعد أن أمن الأوضاع فى كورتى

---

(٢٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٠٣ .

(٢٧) د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ٧٢ .

(٢٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٢ ، ص ١٦٥ .

شذونه وموزور(٢٩) .

وواضح جدا من تطور الأحداث بعد ذلك عظم الأثر السياسى والعسكرى لهاتين الحملتين اللتين قام بهما الناصر فى مطلع عهده ضد مراكز الثورة ومعاقلها التى يسيطر عليها عمر بن حفصون ففى سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) طلب عمر بن حفصون من يحى بن اسحق — طبيب عبد الرحمن الناصر — التوسط فى عقد الصلح بينه وبين عبد الرحمن الناصر ، وكان يحى صديقا لعمر بن حفصون (٣٠) . وعاون يحى فى هذه المهمة بدر حاجب الناصر حيث بسط كما يقول ابن حيان : « الحاجب بدر بن أحمد لدى الناصر لدين الله انحراف عمر الى السلم ورغبته فى الايحاش الى الطاعة بسطا سهل صعبه ، ومكن أراخيه فأباحه الناصر لدين الله الاستجابة لعمر ومكاتبته فى شأن الصلح الذى خطبه ، وامتحان مذهبه فيه (٣١) » .

وأجرى يحى بن اسحق فى ذلك الوقت اتصالات كانت على جانب كبير من الأهمية ليتأكد من نوايا عمر بن حفصون ، وجرت هذه الاتصالات مع ثلاث شخصيات هامة : جعفر بن مقسم ، اسقف ببشتر ، وعبد الله بن أصبغ بن تبيل ، وودنا بن عطاف ، وهم جميعا من كبار رجال عمر بن حفصون ، ومعاونيه وخاصته ، وكانوا يميلون الى الصلح والدخول فى طاعة قرطبة (٣٢) .

وكانت الخطوة التالية هى الاتصال المباشر بين يحى اسحق ،

---

(٢٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة (ذكرها ياقوت موزور : وهى اسم مفعول من الوزر اسم لكورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال قرمونة ، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا ، وبينها وبين اشبيلية نحو من ستين كيلو مترا ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٢٢ ، ابن حيان : المقتبس ، ت : د. محمود على مكى ، هامش ص ٥٨٤ .) .

(٣٠) المصدر السابق ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ١١٣ .

(٣١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٢) المصدر السابق ، ت شالميتا ، ج ٥ ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

وعمر بن حفصون لوضع شروط الصلح ، التى أقرها عبد الرحمن الناصر بعد عودة يحيى بن اسحق الى قرطبة ، وعقد لابن حفصون بذلك عقدا كتب فى نهايته : « بالله الذى لااله الا هو الطالب الغالب ، وجميع أيمان البيعة لازمتى من العهود المشددة والأيمان المؤكدة ، والمواثيق المغلظة ، لانقضت شيئا مما جمعه هذا الكتاب ... تبديله ، ولا نقصان شىء منه ، ولارضيت بذلك فى سر ولاجهر ، وأن كل مافيه من الشروط والعهود والمواثيق لازمتى ، والله شهيد علينا ، وخططنا هذه الأحراف بيدنا ، واشهدنا الله عز وجل على انفسنا ، وكفى بالله شهيدا ، ماوفى عمر بن حفصون بما نص فى هذا العهد وصحح فيه ان شاء الله والله المستعان (٣٣) » وأخذ عبد الرحمن الناصر من عمر بن حفصون أحد أبنائه رهينة عنده على صدق نواياه فى الطاعة (٣٤) .

وبلغت جملة الحصون التى دخلت فى أمان عمر بن حفصون بمقتضى هذا الاتفاق مائة واثنين وستين حصنا (٣٥) . ويروى ابن حيان أن ابن حفصون اغتبط بهذا العقد مع الناصر غبطة عظيمة ، وبذل جهده فى تنفيذ بنود هذا العقد ، والمحافظة على شروطه ، وأوضاعه ونصوصه بمنتهى الدقة (٣٦) . وقدم الى الناصر هدية عظيمة قبلها الناصر ، الذى بادر بالرد عليها « بأضعافها وأكثر له من فاخر الكسى السلطانية من الوشى الطرازى والخز العراقى ، والسيوف الحالية ، والدواب الرائعة ، والمراكب الثقيلة المذهبة المفضضة ، أنفذ اليه بها يحيى ابن اسحاق صديقه ، فلما وصلت الى عمر عظم بها سروره ، واستجد جذله ، واستحكمت فى طاعة الناصر لدين الله بصيرته (٣٧) » . وظل

---

(٣٣) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ١١٥ .

(٣٤) ابن الخطيب : **أعمال الاعلام ، ص ٣٧** .

(٣٥) ابن حيان : المقتبس : ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ١١٥ .

(٣٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٧) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ١١٥ ، ١١٦ .

عمر بن حفصون على طاعتة طوال الفترة التى تبقت من حياته ، حتى توفى فى سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) (٣٨) .

وللبعض فى هذا المقام أن يتساءل لماذا وافق الناصر على الصلح مع عمر بن حفصون ، الذى خالف الاسلام الى النصرانية ، وقد أصبحت حالته من الضعف بمكان ، أمام قوة الناصر الضخمة المتصاعدة ؟ وللاجابة على هذا التساؤل ، فان الذى يبدو من خلال المنظور التاريخى للأحداث فى ذلك الوقت ، أن الناصر مارس مع ابن حفصون دورا سياسيا هاما يعد من أبرع الأدوار التى مارسها الناصر خلال فترة حكمه الطويلة . فالناصر كان يدرك تمام الادراك أن عمر بن حفصون ، أصبح شيخا هرما كبيرا فت الزمن فى عضده ، واستهلكته الأحداث ، وأن المسألة معه مسألة وقت فقط . وقد صدق حدس عبد الرحمن الناصر فى كبر سن عمر بن حفصون ، وتداعى صحته ، فلم تمض سنتان ، طبقا لرواية ابن حيان ، الذى ذكر أن ابن حفصون توفى فى ليلة الاثنين لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة (٣٠٥هـ/٩١٨م) (٣٩) . أو ثلاث سنوات طبقا لرواية ابن الخطيب الذى ذكر أنه توفى فى سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) (٤٠) .

كما أن القرائن التاريخية التى بين أيدينا تثبت فيما يبدو أن عمر ابن حفصون تراجع ولو ظاهريا عن المسيحية فى الفترة الأخيرة من حياته وتظاهر بأنه مسلم ، لما قد رآه من انحسار لحركته نتيجة لاعلان تنصره ، أو على أقل تقدير ، فقد تظاهر بالعودة الى الاسلام فى الفترة التى عقد فيها هذا الصلح مع عبد الرحمن الناصر ، أو قبلها بوقت قليل ، ومما يدعم وجهة النظر هذه من القرائن التاريخية أن عبد الرحمن

---

(٣٨) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٧ ، ويروى ابن عذارى أن وفاته كانت فى سنة (٣٠٥هـ) خلافا لما ذكره ابن الخطيب ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

(٣٩) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ص ١٣٨ .

(٤٠) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٣٧ .

الناصر ، بعد أن استولى على حصن ببشتر ، ودخله سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) ، استخرج جثة عمر بن حفصون من قبره ليتأكد بنفسه ، ومعه الفقهاء ، هل كان عمر بن حفصون مسلما ؟ أم أنه كان نصرانيا ؟ • وقد تأكد الناصر بما لايدع مجالا للشك أن عمر بن حفصون مات نصرانيا ، وأنه كان انتهازيا مخادعا لآخر لحظة فى حياته • ورواية ابن عذارى فى هذا الشأن تؤكد أن عمر بن حفصون ، وقت أن تصالح مع عبد الرحمن الناصر كان متظاهرا بالاسلام ، يقول ابن عذارى : «وأمر (عبد الرحمن الناصر) بنبش جيفتى عمر بن حفصون وابنه ، فكشفت قبورهما ، فألفيا مدفونين على ظهورهما كما يتدافن النصارى ، وشهد ذلك عامة الفقهاء الغازين مع الناصر (رحمه الله) وأيقن جميع من شهد ذلك بهلاكهما على دين النصرانية ، فاستخرجا من لحودهما وأتى بأعظمهما الرجسة الى باب السدة بقرطبة ، فرفعت فى جذوع عالية الى السدة بقرطبة ، فرفعت فى جذوع عالية الى جنب الملحد سليمان بن عمر ، وصاروا عظة للناظرين ، وقرت بهم عيون المسلمين » (٤١) • ومما يؤكد ذلك أيضا من قرائن أن جعفر بن عمر حفصون — الذى خلف والده — جهز عمر بن حفصون بطريقة سرية فيروى ابن الخطيب أنه « انفرد بمواراة أبيه مع القسيسين حتى دفنوه على سنة دينهم » (٤٢) •

على كل حال فان الأمر فيما يبدو لم يكن فى ذهن الناصر أمر سيطرة مسيحى ، أو متظاهر بالاسلام ، على عدد من الحصون ، بقدر ما كان مراعاة لجموع النصارى من المستعربين ليشعروا أنهم أمام عهد جديد ، ينبغى أن تتحد فيه جهودهم مع بقية عناصر البناء الاجتماعى الأندلسى من اخوانهم العرب والبربر والمولدين ، وقد أثبتت الأحداث أن هذه الانطلاقة العظيمة التى بعثها الناصر ، والتى وحدت جميع طوائف المجتمع الأندلسى ، كانت الأساس الصلب لبناء الحضارة

---

(٤١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

(٤٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٧ ، وانظر
Scott, op. cit., V. I. p. 578.

الاسلامية الأندلسية بعد ذلك ، حيث توحدت جميع عناصر المجتمع الأندلسى ، بعد أن مزقتها أحداث الفتنة ، خلال قرن مرير مليىء بالأحداث المحزنة • وقدأ شاد آنخل حنثالث بالنثيا المؤرخ الاسبانى الشهير بهذا الدور الرائع الذى أداه عبد الرحمن الناصر حيث وفق كما قال : الى « انقاذ الحضارة الاسلامية الأندلسية الزاهرة مما كان يتهددها من الأخطار الخارجية ، والخلافات الداخلية فقد كان ذا سياسة حازمة ••• أعانته على القضاء على قوة عمر بن حفصون » (٤٣) •

كان لوفاة عمر بن حفصون ، ذلك النسر الأندلسى ، الذى أعتصم بوكنته فى قمم ببشتر ، كما يصفه بالنثيا ، (٤٤) والذى فشل فى أن يلهب حماس المولدين والمستعربين ، لينقض بهم البناء السياسى والاجتماعى لاسبانيا الاسلامية ، فرحة عظيمة ترددت أصداؤها فى سائر بلاد الأندلس، اذ كان فى نهايته ، نهاية للتمرد والفتنة ، والعداء بين العرب والمولدين ، وبداية لعهد جديد من التقدم والحضارة والازدهار • وقد علق ابن عذارى على وفاة ابن حفصون بقوله :« فعد هلاكه (ابن حفصون) من أسباب الاقبال وتباشير الصنع وانقطاع علق المكروه » (٤٥) •

كان لعمر بن حفصون أربعة من الأبناء هم ، جعفر وسليمان ، وعبد الرحمن ، وحفص (٤٦) ، ولم يكن أحد منهم فى مثل قوة والده

---

(٤٣) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ت : د. حسين مؤنس ، ص ٧ •

(٤٤) المرجع السابق ، ص ٥٩ •

(٤٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٧١ •

(٤٦) المصدر السابق ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، Scott, op. cit., V. I. p. 577. (وقد نبه جاينجوس (Gayangos) الى الخطأ الذى وقع فيه بعض المؤرخين من أمثال كوند (Conde) ، الذى ذكر أن عمر بن حفصون ، كان له ولد اسمه كلب ، وأنه خاض معه بعض المعارك ، ويبدو أن هذا الخطأ الذى وقع فيه كوند ، كان نتيجة لنقل خاطىء من المصادر العربية ، التى وصفت عمر بن حفصون بأنه كلب فى بعض المواضع ، Gayangos, op. cit., V. II. p. 437).

ودهائه وقدراته ، ولذلك ترنحت حركة ابن حفصون بعد وفاته بين هؤلاء الأبناء الأربعة ، واستفاد عبد الرحمن الناصر من ضعفهم ، وتفرق غاياتهم وأهدافهم في القضاء عليهم ، خلال عشر سنوات من وفاة والدهم (٤٧) .

تمزقت حركة عمر بن حفصون بين هؤلاء الأبناء الأربعة ، فاستولى جعفر على قلعة ببشتر ، وحل محل والده فيها ، وكان قد « قلده (عمر بن حفصون) عهده في حياته ، وأخذ له البيعة على أهل ضلالته » (٤٨) . واعتنق جعفر النصرانية مثل أبيه ، وترى بعض الروايات ، أنه شهر نصرانيته بعد وفاة والده (٤٩) . ولكن يبدو أن ذلك كان بين خاصته وأتباعه ، لأن الناصر كما ذكرنا قبل ذلك نبش قبر عمر بن حفصون ، وولده جعفر ليتأكد من حقيقة الديانة التي كانا عليها ، وقد ظهر له انهما ماتا على النصرانية (٥٠) . أما سليمان بن عمر ابن حفصون ، فقد بسط نفوذه على حصن أبذة من كورة البيرة ، وهي المعروفة بأبذة فروة ، وكانت منيعة حصينة (٥١) . كما احتل عبد الرحمن بن عمر بن حفصون هو الآخر الحصن الساحلي المشهور

---

(47) Scott, op. cit., V. I. p. 577.

(٤٨) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، جـ ٥ ، ص ١٣٩ .

(٤٩) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٧ ، (يروى ابن حيان عن جعفر أنه أظهر « يوم موت أبيه لجميع نصارى ببشتر أنه يعتقد دينهم، ويدين بالنصرانية معهم ، وزعم أن أباه كان يعتقد ذلك ولا يظهره » ولكن هذا التصريح من جعفر تم بطريقة سرية ، وهي نفس الطريقة التي جرت بها مراسم دفن عمر بن حفصون وفقا للتقاليد النصرانية . ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، جـ ٥ ، ص ١٣٩ .) .

(٥٠) أنظر فيما سبق ، ص ١١٠ .

(٥١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٧١ .

بحصن طرش (٥٢) ٠ أما أصغر الأبناء ، وهو حفص فقد لزم أخاه جعفر فى حصن ببشتر (٥٣) ٠

وقد بدأ عبد الرحمن الناصر بالتعامل عسكريا مع أبناء عمر بن حفصون الموجودين فى المناطق التى فى خارج قلعة ببشتر أولا ، فهاجمت قوات الناصر بقيادة يحيى بن اسحاق حصن أبذة ، وتمكن هذا القائد من استنزال سليمان بن عمر بن حفصون ، وقدم به الى قرطبة ، فأنزله الناصر منزلا طيبا ووسع له كما يقول ابن عذارى ، رغبة منه فى تألفه على عادة الناصر مع خصومه (٥٤) ولكن سليمان ما لبث أن هرب ولحق بمناطق الثورة ليبحث لنفسه عن دور جديد فيها (٥٥) ٠

وفى سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م) ، غزا الناصر بنفسه حصن طرش وكان فيه عبد الرحمن بن عمر بن حفصون ، الذى لم يستطع مواجهة الناصر فأسلم الحصن الى رجال الناصر ، وقدم الى قرطبة ، وكان عبد الرحمن يحب نسخ الكتب ، فقد كان ذا خط جميل ، فعاش بقية حياته فى قرطبه وراقا يكسب عيشه من نسخ الكتب (٥٦) ٠

توجهت أنظار الناصر بعد ذلك الى ببشتر ، وكان جعفر قد انتهج نفس الخط السياسى الذى كان عليه والده عمر بن حفصون ، حيث

---

(٥٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ ٠

(٥٣) د٠ أحمد بدر : تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، ص٩٠

(٥٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٧١ ٠

(٥٥) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ، ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ١٤١ ، ١٤٢ ٠

(٥٦) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٥٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ ٠

ذهب « مذهب أبيه فى العناد ، ودس الشرار للقطع بالطرقات » (٥٧) • وكان كما يصفه ابن حيان « متهورا ، سخيفا ، جبانا ، ضعيفا ، لئيما ، دميما ، حسودا ، حقودا ، نقودا ، منافسا لمن تجمل عنده ، كنودا لمن استرسل اليه مؤالفا للسفال ، مستصحبا للأرذال »(٥٨) •

خرج الناصر الى جعفر بنفسه يقود حملة حاصر بها ببشتر فى سنة (٣٠٧هـ/٩١٩ م) حصارا شديدا طلب جعفر لشدته عليه الصلح من الناصر ، فوافق على الصلح بعد أن أخذ من جعفر عددا من الرهائن على صدق طاعته ، وعلى أن يدفع جعفر ما فرض عليه الناصر من الجباية عن منطقته(٥٩)•ولكن الأمور ما لبثت أن جرت داخل ببشتر على غير هوى جعفر ، حيث تذكر بعض الروايات ، أن جعفرا ضاق أمره ، واختلت حالته ، وتعرض لمؤامرة ، قامت بها طائفة من خاصته تآمرت عليه وقتلته فى سنة (٣٠٨ هـ/٩٢٠ م) (٦٠) • وترى بعض المصادر أن قتل جعفر كان نتيجة لمؤامرة دبرت بين قتلته وبين أخيه سليمان ، لأن هؤلاء القتلة ، قاموا باستدعاء سليمان ليضبط الأحوال فى ببشتر بعد تنفيذ مؤامرتهم (٦١) •

أعلن سليمان بن عمر بن حفصون طاعته للناصر ، غداة تسلمه لزمام الأمور فى ببشتر ، ولكنه أعلن ذلك حتى يجد لنفسه فرصة يلتقط فيها أنفاسه ، اذا انه ما لبث أن شق عصا الطاعة ، وحاول أن

---

(٥٧) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٣٧ •

(٥٨) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ١٣٩ •

(٥٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٧٤ •

(٦٠) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ، ابن حيـان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ١٦٨ •

(٦١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٧ •

يكون تجمعات نصرانية خارج ببشتر ، وتركزت هذه التجمعيات فى حصن طرش ، وحصن أقوط وجبل الحجارة (٦٢) • ولم يترك الناصر لهذه التجمعات الفرصة لتجدد نشاطها — الذى كان لها أيام عمر بن حفصون — فأعد حملة قوية فى سنة (٣٠٩ هـ/٩٢١ م) ، ظل يتجهز لها شهرا كاملا ، حتى أطلق عليها المؤرخون ، (غزاة طرش) (٦٣) •

سار الناصر الى طرش فى احتفال كبير من جيوشه الضخمة ، يصحبه عدد كبير من رجال الدولة ، والقادة على اختلاف طبقاتهم ، « وكانت النصرانية قد انحشـدت اليه ، وتحصنت فيه ، فأحـدقت العساكر به من جميع جهاته ، وعهد بمحاربتهم والتضييق عليهم ، ونصب المجانيق على مرتقى تصل منه حجارته الى الكفرة » (٦٤) • وهذا ما أشار اليه ابن الخطيب حيث ذكر أن الناصر قام ببناء قصبات حصينة حول طرش ، اتخذت كقواعد لاطلاق المجانيق من فوقها ، فأصبح الحصن بكامله فى مرماها (٦٥) • وظـل الناصر يلح فى محـاصرة الحصن ، والتضييق على من فيه ، حتى ان من فى الحصن « كانوا فى أول المنازلة لهم يبرزون للحرب ، ويظهرون المدافعة ، حتى مزقتهم الحرب ، وقلت عددهم ، وفلت حدهم ، فعاذوا بالاستغلاق فى داخل حصنهم • ثم تمادى التضييق عليهم والحصار لهم حتى أخذهم الجهد وأشفوا على الهلاك • فخاطبوا أمير المؤمنين ضارعين اليه فى تأمينهم

---

(٦٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ، ١٨١ •

(٦٣) ابن حيان : المقتبس ، بت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ١٧١ ، ابـن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨٠ •

(٦٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨١ •

(٦٥) ابن الخطيب : عمال الأعلام ، ص ٣٧ •

على أن يسلموا الحصن ويخرجوا عنه فأجابهم الى ذلك» (٦٦) . وأصدر الناصر أوامره الى رجاله بهدم هذا الحصن نظرا لخطورته ، بالنسبة للتجمعات النصرانية الموجودة فى المنطقة ، والتى تتخذ منه ملاذا لها ، فهدمت على الفور قصبات الحصن ، وألقيت أحجارها فى النهر ، وبنى فى موضع الكنيسة التى كانت به مسجدا جامعا (٦٧) .

وفى نفس الوقت الذى كان الناصر يحاصر فيه حصن طرش ، كانت بعض فرق الجيش المرافق للناصر تحاصر ببشتر ، وتضرب تجمعات نصرانية أخرى فى حصن أقوط وجبل الحجارة ، وأدت هذه الفرق مهمتها بنجاح (٦٨) . ولم تترك القوات المحاصرة لببشتر المنطقة الا بعد أن استأمن سليمان بن عمر بن حفصون وطلب الصلح ، وأخذت منه رهائنه (٦٩) . ولكنه ما لبث أن نكث بالعهد ، وقام بمهاجمة مدينة المنكب ، ودخلها بالقوة ، وقتل جميع أهلها وسبيت نساءهم (٧٠) .

وقد أقلقت هذه التصرفات عبد الرحمن الناصر ، فخرج الى سليمان فى سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م) ، وحاصر ببشتر ، ورتب على الحصار عددا من كبار القواد فى جيشه ، واستمر هو فى غزو اشبيلية

---

(٦٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨١ ، وانظر بن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ١٧٢ ، مع خلاف فى اللفظ .

(٦٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨١ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام ، ٣٧ .

(٦٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨١ .

(٦٩) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٧ .

(٧٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (المنكب : بالضم ، ثم بالفتح ، وتشديد الكاف وفتحها ، وباء موحدة ، بلد على على ساحل جزيرة الأندلس ، من أعمال البيرة ، بينه وبين غرناطة أربعون ميلا ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢١٦) .

وقرمونة ، بينما قواته تحاصر ببشتر حصارا دائما(٧١) • وفي سـنة (٣١١هـ/٩٢٣م) ، وصل الناصر الى ببشتر ثانية ، وعند وصوله رفض عرضا للصلح تقدم به سليمان بن عمر بن حفصون ، واستمرت قوات الناصر تحاصر ببشتر ، بينما قوات أخرى من الجيش ، تهاجم الحصون الأخرى التابعة لسـليمان بن عمر بن حفصـون ، كحصن قرذارش ، وحصن نجارش ، وحصن الجشن ، وشنت بيطر (٧٢) • ويروى ابن عذارى أن حفص بن عمر بن حفصون خرج من ببشتر ، والتقى بالناصر ، واتفق معه على الصلح ، فى مقابل التنـازل عن حصن (قامرة) ، « فأمنه أمير المؤمنين الناصر (رحمه الله) وأقره فى بعض حصونه ، لما رآه من السياسة ووجه المصلحة فيه وفى سليمان أخيه »(٧٣) • وعلى الفور فك الناصر الحصار ، واتجه لتأمين الأوضاع فى منطقة مرسى شاط والمنكب ، وحصن مشكريل (٧٤) • وقد أتاح ذلك لسليمان بن عمر بن حفصون أن يخرج من ببشتر ليتفقد بعض الحصون التابعة له •

وفى تلك الأثناء قامت ثورة ضد سليمان ، قام بها أهل ببشـتر « وقد كان أهله أرادوا الفتك بسليمان بن حفصون ، وضبطوا القصبة دونه ، وأطلقوا من كان فى حبسه ، وانتهبوا أكثر أمتعتـه »(٧٥) • وخاطبوا القومس كبير النصارى المعاهدين ، عامل الناصر بتلك الجهة، فلحق بهم(٧٦) • وبينما هو يناقشهم فى ادخال عامل الناصر بتلك الجهة

---

(٧١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٧٢) المصدر السابق ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٧٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(٧٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٧٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن الخطيب : أعمـال الأعلام ، ص ٣٨ .

(٧٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

الى الحصن ، تمكن سليمان بمعاونة بعض أصحابه — الذين ساعدوه فى فتح الأبواب — من الدخول الى الحصن متلثما ، ومتخفيا يحمل حزمة حطب « وتلاحق به أصحابه ، ففر الأسقف ، وجعل سليمان السيف على من اتهمه »(٧٧) ، « وأطمع السواد (العامة) فى أموال القائمين عليه (من الثوار) ، فثاروا معه ، وبادروا الى قتل من ظفر به منهم ، فأفنى أكثرهم »(٧٨) • وكانت هذه الأحداث مدعاة الى أن يعاود الناصر محاصرة ببشتر ، ولم يتركه الا بعد أن رتب الحصار على جميع جهاته ، ويبدو أن هذا الحصار الشديد ، اضطر سليمان بن عمر ابن حفصون الى الخروج من الحصن والاشتباك مع جيوش الناصر التى لجأت الى أسلوب ادامة الحصار حول ببشتر ، وأدى الحصار بهذه الطريقة بطبيعة الحال الى انقطاع الميرة والمرافق ، كما يروى ابن الخطيب عن بشتر (٧٩) • وفى احدى هذه المرات التى خرج فيها سليمان بن عمر بن حفصون لمقاتلة بعض الحشم — من جيش الناصر — المحاصر لببشتر ، عند منطقة شنت بجنت كبا بسليمان فرسه فقتل على الفور(٨٠) • واحتز « رأسه سعيد بن يعلى العريف ••• وكانت قد واقعته (سليمان) قبل ذلك طعان على يدى محمد بن يونس العريف ، وبعض بنى مطاهر العجم ، وقطعت يداه ورجلاه وذلك • يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة سنة (٣١٤هـ/٩٢٦م) • وبعث الوزير عبد الحميد

---

(٧٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة •

(٧٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨٤ •

(٧٩) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٨ ، ابن حيان : المقتبس ، ت : شنالميتا : ج ٥ ، ص ٢٠٤ •

(٨٠) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٥٣ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٢ •

برأسه وجثته ويديه مبعضة مفترقة ، فرفعت على باب السدة بقرطبة فى حشبة عالية ، وكان الفتح عظيما سارا لجميع المسلمين »(٨١) .

كان لمقتل سليمان بن عمر بن حفصون رنة فرح عظيمة بين المسلمين فى جنبـات الأندلس ، عبرت عنهـا قصـائد الشـعراء التى ترجمت أحاسيسهم ومشاعرهم على كافة المستويات ، خاصة أن هذه الفتـرة صادفت قحطا شديدا أصاب الأندلس ، واستسقى الناس عدة مـرات حتى صادف « نزول الغيث مع رفع جثة سليمان بن حفصون صليبة على باب السـدة »(٨٢) .

وأصبح باب السدة فى قرطبة معرضا لجثث عمر بن حفصون ، وأبنائه وحلفائه وأعوانه ، فقبل ذلك بقليل وفى سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م) يذكر ابن عذارى : « وفيها صلب على الرصيف بباب قرطبـة الرامى المعروف بأبى نصر ، وكان قد ذهب به الصوت فى الرماية والاصابة أيام عمر بن حفصون ، فصلب ، ثم رمى بالنبل حتى أصيبت جوارحه ومقاتلة ، وبقى فى الجذع أياما ثم أحرق »(٨٣) . وكان ذلك بمثـابة اعلان عن سياسة الحكومة الجديدة بمعاقبة المخالفين لها بمثـل هـذا العقاب الصارم .

---

(٨١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (ويذكر ابن حيـان ، أن مقتله كان فى يوم السبت غرة ذى الحجة الموافق الثالث عشر من مارس سنة ٣١٤ هـ م ، ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٢٠٣ — ٢٠٥ .

(٨٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٢ ، (ومن الأبيات التى رددها الشعراء فى هذه المناسبة قول الشاعر :

سحاب يمور الغيث فيها وديمة ... دماء العدى تهمى بها وتفور
غياثان فينا واكفان من الحيـا ... ولكن ذا رجس وذاك طهور
وذاك نجيع ليس يقبله الثرى ... وذا ناجع يسرى به ويغور
تدنست الدنيـا به فتطهـرت ... بطون لها من رجسه وظهور

(٨٣) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٢٠٢ .

لم يمض وقت طويل حتى نزل الناصر بجيوشه ثانية على ببشتر فى منتصف ربيع الأول سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م)(٨٤) . ومن المفيد أن أن نتحقق من التواريخ التى تتعلق بهذه الحملة ، والتى نلمس فيهـا شيئا من الاضطراب بين رواية ابن حيان ، ورواية ابن عذارى . فابن حيان يذكر أن عبد الرحمن الناصر ، برز لهذه الحملة ، وبدأ فى الاستعداد لها فى « يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من صفر من هذه السنة ... وفصل غازيا يوم الخميس للنصف من ربيع الأول منها ... وذلك بعد بروزه باثنين وعشرين يوما »(٨٥) . فاذا عرفنا طبقا لما أوردته الجداول المقارنة التى وضعها ويستنفلد ، وترجمها الدكتور عبد المنعم ماجد(٨٦). أن شهر صفر فى هذه السنة كان تسعة وعشرين يوما ، فهذا يعنى أن مدة الاستعداد للحملة ليست اثنتين وعشرين يوما ، كما ذكر ابن حيان، لأن عدد الأيام من الثالث عشر من صفر الى منتصف ربيع الأول تكون اثنين وثلاثين يوما .

أما رواية ابن عذارى فتقول بأن عبد الرحمن الناصر برز لهـذه الحملة « يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة (٣١٥هـ) ... وفصل غازيا يوم الاثنين للنصف من شهر ربيع الآخر ... وذلك بعد بروزه باثنين وثلاثين يوما »(٨٧)

---

(٨٤) ابن حيان : المقتبس ، ت شالميتا ، ج ٥ ، ص ٢٠٩ .

(٨٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٨٦) ويستنفلد : جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بمـا يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها ،

ترجمة : د. عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان ، الانجلو المصرية ١٩٨٠ ، ص ٣٤ .

(٨٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

وهذه الرواية تتضمن اضطرابا واضحا فى داخلها ، فليست المـــدة بين بروز الناصر لهذه الحملة فى صفر ، وخروجه للغزو فى ربيع الثـــانى باثنين وثلاثين يوما ، وانما هى اثنان وستون يوما ، عـــلاوة على أن الاضطراب واضح بين الروايتين ، ففى رواية ابن حيان ، خـــــرج الناصر للغزو فى منتصف ربيع الأول ، بينما كان ذلك عند ابن عذارى، فى منتصف ربيع الثانى ، والمدة ما بين الاستعداد للحملة ، والخروج بها فعلا اثنان وعشرون يوما عند ابن حيان ، واثنان وثلاثون يوما عند ابن عذارى • واعتقد أن سبب الاضطراب ، راجع الى النسخ عن المؤلف الأصلى ، والمعروف أن تاريخ ابن حيان الذى توفى فى سنة (٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) (٨٨) • كان مصدرا أساسيا نقل عنه ابن عذارى الذى كان حيا فى سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) •

على كل حال قد نستطيع أن نتلمس الحقيقة من بين ســـطور الروايتين ، فعبد الرحمن بدأ الاستعداد بالبروز لهذه الحملة ، لثلاثة عشر يوما خلت من صفر سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) ، واستغرق الاستعداد لها اثنين وثلاثين يوما ، خرج بعدها الى ببشتر فى منتصف ربيع الأول سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) •

وقد عزم الناصر فى هذه المرة وضع حد لهذه الثورة التى طال عليها الأمد ، والتى باتت تلفظ أنفاسها الأخيـــرة ، بعد أن عجزت عن مواصلة مسيرتها بقيادة آخر أبناء عمر بن حفصون ، وأصغرهم حفص ، العائذ بقلعة ببشتر •

أخذ الناصر فور وصوله الى ببشتر فى اجراء ترتيبات الحصار الدائم حول قلعة ببشتر ، وأسند أمر الاشراف على هذه الترتيبات الى عدد من القـــادة الذين لازموا ببشتر طيلة الفترة التى قام خلالهـــا

---

(٨٨) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٦٩ •

الناصر بمهاجمة ما تبقى من حصون العملاء والحلفاء لأبناء ابن حفصون ، ومن أهم المدن والحصون التى هاجمها ، مدينة الحنش ، وحصن شنت بيطر ، ومدينة مالقة (٨٩) .

عاد الناصر الى ببشتر بعد هذه الجولة السريعة ، وبدأ فى وضع معالم جديدة لحصار ببشتر ، تتمثل فى بناء حصن جديد الى جوار حصن ببشتر ، أطلق عليه حصن خليدة (٩٠) . حيث رأى « أن البنيان بها من أنكى الأمور للكفرة وأشدها عليهم » (٩١) . وفى هذا الحصن رابطت القوات المحاصرة لببشتر . كما كلف الناصر وزيره عبد الحميد ابن بسيل بالقيام بأعمال الدورية ، والاشراف على مفارق الطرق المؤدية الى ببشتر لمراقبتها ، وصد أى هجوم مفاجىء على القوات الاسلامية المحاصرة لببشتر ، أو تعويق عمل العسكر المنتشرين فى المنطقة لطلب علوفات الدواب والمرافق اللازمة للجيش (٩٢) . كما قام الناصر ببناء حصن أشب ، بالقرب من حصن ببشتر فى الموضع المعروف بمحلة طلجيرة ، وبتمام بناء هذا الحصن ، احكمت جميع المنافذ حول ببشتر . وكان بناء هذا الحصن سببا مباشرا من أسباب سقوط ببشتر

---

(٨٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، (حصن الحنش أو قلعة الحنش بلدة تقع الى الجنوب من ماردة ، منحرفة قليلا الى الشرق ، تبعد عنها نحوا من عشرين كيلو مترا ، المصدر السابق ، ت : د. محمود على مكى ، ص ٦٣٢) .

(٩٠) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٨ .

(٩١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

(٩٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٢١١ .

سريعا فى يد الناصر ، فيروى ابن حيان ، أن بناء حصن أشب كان « السبب فى فتح مدينة ببشتر بعد مديدة » (٩٣) .

اتضح لحفص بن عمر بن حفصون ، أن هذه الترتيبات الجديدة ، قد وضعت لاحكام الحصار لمدة لا يستطيع تحملها هو وأتباعه داخل الحصن « ولما اشتدت المحاصرة على حفص بن عمر بن حفصون بمدينة بيشتر وأحيط به بالبنيان عليه من كل جانب ، ورأى من الجد والعزم فى أمره ما علم أن لا بقاء له معه فى الجبل الذى تعلق فيه ، كتب الى أمير المؤمنين الناصر يسأله تأمينه ، والصفح عنه على أن يخرج عن الجبل مستسلما لأمره راضيا بحكمه » (٩٤) .

كلف الناصر وزيريه أحمد بن محمد بن حدير ، وسعيد بن المنذر بالاشراف على انزال حفص بن عمر بن حفصون من قلعة ببشتر « واستنزل (الوزير أحمد بن حدير) حفص وآله وجميع النصارى الذين كانوا معه ، وقدم بهم أحمد بن محمد الوزير الى قرطبة مع أهلهم وولدهم . ودخلها (قرطبة) حفص فى مستهل ذى الحجة سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) . وأوسعه أمير المؤمنين صفحه ، وعفوه ، وصار فى جملة حشمه وجنده » (٩٥) . وتذكر رواية ابن الخطيب ، أن حفصا كان مع الناصر ضمن قواته التى غزت جليقية بعد ذلك ، وظل

---

(٩٣) المصدر السابق ، ج ٥ ، نفس الصفحة .

(٩٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٥ ، ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٠٣ ، مع خلاف فى اللفظ .

(٩٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .

على ولائه للناصر حتى « مات بوادى الحجـارة سنة كـذا وعشرين وثلاثمائة ، وانقضى أمر بنى حفصون الى هذا الحد » (٩٦) .

وبعد أن تسلمت قوات الناصر حصن ببشتر ، توجه الناصر اليه فى منتصف المحرم سـنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) . « فدخل المـدينة فى أقطارها ، وعاين من شرفها ، وحصانتها ، وعلو مرتقاها ، وانقطـاع جبلها من جميع جهاته ، ما أيقن معه أن لا نظير لها فى الأرض حصانة ، ومنعة ، واتساع قرارة ، فأكثر من حمد الله ـ عز وجل ـ على ما افتتح له منها ، والتزم الصوم أيام مقامه بها » (٩٧) .

وقام الناصر بتقوية قصبة ببشتر ، وفى نفس الوقت قام بعملية هدم لجميع الحصون والمعاقل القريبة من ببشتر (٩٨) . حتى « لم يبق للنصرانية بتلك الجهة حصن مذكور ولا معقل معمور » (٩٩) . ويروى صاحب الأخبار المجموعة أن الناصر أمر بتقوية مبانى ببشتر ، وبناء حصنها ، لأنه استبقى الحصن لنفسه ولأولاده ليلجأوا اليه اذا ما تعرضوا لأية مشكلات ، أو فتن قد تهيج بهم فى بلاد الأندلس (١٠٠). وهذا اجمال الذى فى رواية صـاحب الأخبـار المجموعـة ، يرويه ابن حيان بشىء من الدقة والتحديد لمـا هـدمه الناصر ، وما أمـر ببنائه ، فقد استبقى الناصر من ببشتر قلعتها العليا فقط لنفسه ، أما ما تبقى من حصونها وأسوارها ، وقصباتها المحيطة بها ، فقد أمـر

---

(٩٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٥٣ مع خلاف فى اللفظ .

(٩٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

(٩٨) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٥٣ .

(٩٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

(١٠٠) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٥٣ .

بهدمها ، كما هدم المسجد الجامع الذى ابتناه عمر بن حفصون ، لأنه أسسه على غير تقوى من الله ، وأنفق عليه من غنائم المسلمين (١٠١) • وأرسل الناصر كتابا الى عمال دولته عن فتح ببشتر (١٠٢) • كما بعث الناصر برسالة أخرى الى الآفاق بفتح قلعة ببشتر (١٠٣) • جاء فيها على لسانه « وأمرنا عند ذلك ، بتخريب مدينة ببشتر وحط أسوارها ، وانزال جدرانا ، وهـدم كل قائم من قصـورها ودورها ومخازنهـا ومبانيها ، واعادتها جبـلا أجرد على ما كانت عليـه لأول خلقهـا ، وقديم أمرها ، محوا لمحلة الكفرة الظالمين » (١٠٤) • وواضح من هذه العبارات أن ببشتر أصـبحت مدينة عادية ، بعد أن كانت قلعـة عسكرية •

وهكذا تمكن الناصر من القضاء على هذه الثورة التى استمرت قرابة خمسين سنة متواصلة (١٠٥) • هددت خلالها عرش الأمويين وكيانهم السياسى بالأندلس مرات كثيرة • وكان تخلص الناصر من هذه الثورة ايذانا بانتهاء عصر الامارة الأموية ، وبدء عصر جديد هو عصر الخلافة الأموية بالأندلس حيث أعلن عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة فى بلاد الأندلس، وأصبح فى العالم الاسلامى ثلاث خلافات ، الخلافة

---

(١٠١) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٢١٩ •

(١٠٢) انظر ملحق رقم (١) •

(١٠٣) انظر ملحق رقم (٢) •

(١٠٤) ابن حيان المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٢٣١ •

(١٠٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٣ •

العباسية ، والخلافة الفاطمية ، والخلافة الأموية بالأندلس (١٠٦) .

وأيا ما كانت الأسباب التى ذكرها المؤرخون مبررا لاعلان الناصر نفسه خليفة فى بلاد الأندلس ، فان السبب الأساسى والقوى الذى تؤكده هذه الدراسة عن ثورة حفصون ، بكل حجمها ، ومؤثراتها السياسية والاجتماعية ، هو أن نهاية هذه الثورة ، ونجاح عبد الرحمن الناصر فى القضاء عليها ، وماتلا ذلك من وحدة المجتمع الأندلسى تحت قيادته ، هو الذى مهد له الطريق لاعلان الخلافة ، لأنه ما كان فى امكانه بأى حال من الأحوال ، أن يعلن نفسه خليفة ، وثورة عمر بن حفصون قائمة تمزق أوصال الدولة ، ومما يؤكد ذلك النص الذى رواه ابن الخطيب وقال فيه « وخاطب الناصر البلاد عندما أراحه الله من الغم القديم اللزيم المتعاقب ، هم ابن حفصون ، واستغلاق قلعة ببشتر عليه فعين للمخاطبة بأمير المؤمنين ، واللقب بناصر الدين بما نصه : (ويروى ما جاء على لسان عبد الرحمن الناصر نفسه فى هذا الشأن) :

---

(١٠٦) النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط ، ورقة ٣٠ . من بين الأسباب التى ذكرها المؤرخون، ضعف الخلافة العباسية فى المشرق أيام المقتدر بالله ، واستبداد الأتراك به وعجز الخلافة العباسية عن حماية العالم الاسلامى ، والى جانب ذلك قيام خلافة شيعية فتية فى بلاد المغرب ، معادية للامويين وهى الخلافة الفاطمية . ومن ناحية أخرى كان ضعف مكانة الأمير الأموى فى قرطبة — نتيجة للثورات والفتن الداخلية التى استمرت طيلة عهود الأمراء الثلاثة من قبله — سببا فى الحاجة الشديدة الى رفع مكانة الناصر السياسية ، باضافة مكانة دينية أيضا اليه ، علاوة على أن ذلك كان استجابة لرغبة الأندلسيين فى أن يكون الناصر خليفة للمسلمين . النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط ، ورقة ٢٩ ، ٣٠ ، د . أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٨٢ .

أما بعد فأنا أحق من استوفى حقه ، وأجدر من استكمل خطه ... وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين ، وخروج الكتب عنا وورودها كذلك ، اذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه ، وعلمنا أن التمادى على ترك الواجب لنا من ذلك حق ضيعناه ، واسم ثابت أسقطناه ، فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به ، وأجر مخاطبتك لنا عليه ان شاء الله » (١٠٧) .



(١٠٧) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٣ ، ٣٤ .



خاتمة

غاية القول — بعد أن وصلت الدراسة الى مداها — أن ثورة المولدين والمستعربين بزعامة عمر بن حفصون ، كانت حلقة من حلقات سلسلة طويلة من معارضة المولدين ، ومعهم المستعربون للحكم العربى ، والوجود العربى فى اسبانيا الاسلامية ، حيث سبقت هذه الثورة بثورات أخرى نشطت فى أوقات متقدمة كثورة المولدين فى طليطلة أيام الحكم الربضى ، والتى انتهت بوقعة الحفرة سنة (١٨١هـ/٧٥٧م) (١٠٨) • وثورة الربض المشهورة ، التى انتهت هى

(١٠٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص٦٩ ، د . أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٢٩ ، (قامت هذه الثورة فى طيطلة ، قام بها المولدون سنة (١٨١هـ) واعتمد الثوار على حصانة المدينة وارتفاع أسوارها ، ولجأ الحكم فى القضاء على هذه الثورة الى الحيلة ، فعين على المدينة أحد المولدين من أتباعه ، وهو عمروس بن يوسف رغبة منه فى استمالتهم ، وتمكن عمروس من بناء قصر على باب جسر المدينة ، وفى هذا القصر أقام احتفالا دعى اليه أعيان طليطلة ورؤسائها من المولدين « فأعد للكيد (بهم) صنيعا (حفرة) ، أظهر أنه يذبح فيه البقر ، وأمر أن يكون دخول الناس على باب ، وخروجهم على باب ، فكان كل من دخل ، وتجاوز الباب قتل ، حتى أفنى من أشرافهم سبعمائة » . وحالت دقات الطبول والموسيقى دون سماع صرخات القتلى ، وبهذه الطريقة تخلصت الامارة من زعماء الثورة فى طليطلة وبالتالى من الثورة فيها ، أنظر المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩) .

الأخرى بمأساة ، حيث طرد القائمون بها من الأندلس (١٠٩) . وكلا الثورتين محاولة من المولدين والمستعربين لتحسين وضعهم السياسى

---

(١٠٩) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٥ — ٧٧ ، (اندلعت هذه الثورة فى سنة (٢٠٢ هـ/٨١٧ م) ، وتعددت الأسباب التى ذكرها المؤرخون مبررا لقيام هذه الثورة ، وهى فى مجملها كانت تعبر عن رغبة المولدين فى تحسين أوضاعهم فى المجتمع ، بعد أن غدوا يشكلون الغالبية العظمى فيه ، وقد رأى بعض المؤرخين من أمثال ابن عذارى أنه لم يكن هناك مبرر لخروج المولدين على الأمير بهذه الثورة « فانه لم يسكن على الناس وظائف ، ولا مغارم ، ولا سخر ، ولا شىء يكون سببا لخروجهم فى هلاك أنفسهم » . وهذه الملاحظة التى أبداها ابن عذارى ينبغى أن توضع فى الاعتبار عند النظر فى أسباب ثورات المولدين ، اذ هى تؤكد أنه كانت لدى المولدين رغبة فى مناهضة العرب والاستحواذ على السلطان والسلطة على بلادهم من يد هؤلاء العرب .

وقد نجح الحكم بن هشام فى القضاء على هذه الثورة ، حيث كان الربض ضاحية من ضواحى قرطبة ، يفصل بينه وبين المدينة جسر قرطبة المشهور ، وقد تأثر أهل الربض لقرب حيهم من جامع قرطبة ، وقصر الامارة ، فاختلطوا بالفقهاء ورجال الدين ، الذين كانوا يعيبون على الحكم ابن هشام بعض تصرفاته ، حيث كان هؤلاء الفقهاء لا يتورعون عن شرح ذلك للعامة فى خطبهم ، فقد كان الحكم شابا مرحا مولعا بالصيد ، والقنص وحفلات الرقص ومجالسة الشعراء والندماء ، وكان هذا المسلك من الحكم مضيعا لكثير من نفوذ رجال الدين عنده ، فلمست دعاوى رجال الدين والفقهاء الأعصاب الحساسة فى نفوس المولدين ، فتذرعوا بحادثة بسيطة حدثت فى حيهم ، حينما ذهب جندى من جنود الأمير الى حداد بحى الربض، ليصلح سيفه ، وحدث خلاف بينه وبين الحداد الذى كان من المولدين ، فاستل الجندى سيفه ، وقتل الحداد ، وعلى أثر ذلك اندلعت الثورة ، وعبر أهل الربض الجسر وحاصروا قصر الامارة ، يريدون الفتك بالأمير الحكم ، الذى نجح فى ارسال بعض رجاله الى حى الربض ، فأشعلوا فيه النيران ، فلما رأى الناس بيوتهم تحترق ، عادوا الى الربض ، وهنا انهال عليهم جنود الأمير قتلا وأسرا ، وأحاطت بهم من كل جانب ، وأمر الحكم بعد ذلك أهل الربض بالرحيل عن الأندلس فى الحال ، وهدم حى الربض وحرث أرضه وزرعها ، أنظر البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٧٥ — ٧٧، المرجع السابق ، ص ١٣٠ — ١٣٢) .

والاجتماعى ، واذا كانت الظاهـرة الواضـحة فى هذه الثورات أنها ثورات محدودة ، فان ذلك يعزى ولاشـك الى قوة قبضـة الامارة الأموية ، فى ذلك الوقت على مقاليد الأمور فى بلاد الأندلس ، علاوة على أن الأفكار الثوريـة لم تكن فيما أعتقد قـد انتشرت فى جهات واسعة من بلاد الأندلس • وكان قيام هاتين الثورتين مقدمة لاندلاع ثورات المولدين والمستعربين بعد ذلك فى الشـمال والجنوب من بلاد الأنـدلس •

ولكن الذى ينبغى أن ننبه اليه هو أن ثورة المولدين ، واشـتراك المستعربين معهم ، لاتعنى غياب المولدين فى ذلك الوقت عن الحضور الاسلامى ، ودليل ذلك أن حركة عمر بن حفصون قد تقلصت ، وأصيبت بضربة شديدة عندما ارتد صحابها عن الاسـلام واعتنق النصرانية ، فقد رفض أكثر المولدين السـير وراءه بعد أن أصـبح يحمل أهدافا مناهضة للاسلام ، الذى استقر فى قلوبهم ، ومن ثم سحبوا تأييدهم له وسارعوا الى الانضمام الى القوة الاسلامية الشرعية المتمثلة فى الامارة الأموية الحاكمة فى قرطبة ، وهذا واضح جدا فى حركة المقاومة المتبقية بعد ذلك فى الثورة مع عمر بن حفصون ، فان نظرة فاحصة لسير حركة المقاومة فى جيش عمر بن حفصون — بعد ارتداده عن الاسلام ، وحتى بعد وفاته واستمرار الثورة فى يد أبنائه من بعده — تؤكد أن العنصر الأساسى فى حركة المقاومة معهم كان هو العنصر النصرانى ، بل أن الحصون التى ظلت تقاوم حتى اللحظة الأخيرة — كما أسلفنا قبل ذلك فى روايات ابن عذارى — كانت حصونا نصرانية •

وتتضح من الدراسة ملاحظة أخرى ينبغى الاشارة اليها أيضا ، وهى أن الفكر الثورى لدى المولدين والمسـتعربين تأثر كثيرا بالفكر الثورى الخارجى ، والفكر الثورى الشـيعى ، اللذين كانا قد وجـدا أرضا خصبة فى بلاد المغرب • وأثمرت هذه الأفكار فى أرض المغرب

دولا ، كانت لها علاقات قوية ببلاد الأندلس كالدولة الرستمية ، أو علاقات عدائية كالدولة الفاطمية • ومن خلال هذه العلاقات كان التأثير والتأثر يسيران بخطى وئيدة ، ويحدثان أثرهما فى نفوس الأفراد والجماعات من المولدين والمستعربين • وكانت الفكرة الغالبة التى سيطرت على المولدين هى امكان اقامة دولة أندلسية يترأسها أحد المولدين من دون العرب ، لهم فيها مقاليد الأمور والسلطة على نحوما تطورت اليه الأمور فى بلاد المغرب عن طريق الثورات التى كان أهمها ثورة عمر بن حفصون •

ومن تحليل أحداث هذه الثورة ندرك أن عمر بن حفصون كان ثائرا انتهازيا ، وأنه فى أول الأمر تحول من قاطع طريق الى مغامر سياسى ، يراوده حب الزعامة ، وأنه فى سبيل هذه الزعامة لم يراع حرمة أو عهدا قطعه على نفسه فى جميع مراحل ثورته ، واعتلى موجة أحداث الصراع بين المولدين والعرب ، وأراد أن يحقق من وراء ذلك مكاسب شخصية ، وقد دعم موقفة ما ساد بين أوساط المولدين من أفكار ثورية خارجية وافدة من المغرب — كما اسلفنا — لاتضع قيودا على من يتولى قيادة الدولة ورئاستها ، ولذلك سعى لتأسيس دولة ، يتنحى فيها العرب عن الرئاسة للمولدين ، وساعدت هذه الأفكار بشكل أو بآخر على انضواء المولدين ، وغيرهم من المستعربين تحت لواء هذا المغامر ، مستميتين فى سبيل تحقيق هذا الهدف •

وأثبتت الأحداث من خلال هذه الدراسة أن الامارة الأموية فى عهد الأمراء الثلاثة الذين سبقوا عبد الرحمن الناصر بذلوا جهودا مستميتة ، لم تتوقف عن مقاومة عمر بن حفصون ، واتضح أيضا أن معركة بلاى كانت حدا فاصلا بين سيادة عمر بن حفصون ، وتعاظم قوته ، وبين انحسار ثورته ، وضعفها ، وتفتت بنائها ، بعد أن استعادت الامارة الأموية قوتها فى أعقاب هذه المعركة ، واستردت بعضا

من قوة مركزها المالى ، الذى عاونها بالتالى فى دعم موقفها العسكرى ، وساعدها على الوقوف فى وجه عمر بن حفصون •

والظاهرة التى تلفت النظر فى ثورة عمر بن حفصون أيضا أن معظم المعارك ، التى التقى فيها ابن حفصون مع جيوش الامارة ،كانت جيوش الامارة تنتصر ، وينهزم ابن حفصـــون ، ورغم ذلك لم تتمكن الامارة من القضاء على ثورته ، ولا شـــك أن مرجع ذلك كان الى طبيعة منطقة ببشتر التى تحصن فيها عمر بن حفصون ، والتى أفضنا فى الحديث عنها خلال الدراسة عن هذه الثورة ، يضاف الى ذلك أن الامارة لم تكن لديها القدرة العسكرية الكافية ، لمداومة الحصار حول ببشتر ، لفترات طويلة كما أن الامارة لم تحكم حصارها حول مصادر الامداد والتموين والأسلحة ، التى كانت ترد لعمر بن حفصون عن طريق البحر سواء من بلاد المغرب ، أو من الدول المسيحية التى كانت تعاونه معاونة صادقة ، عن طريق أسطول سخره عمر بن حفصون لذلك الغرض •

ولذلك فان العامل الأساسى فى نجاح عبد الرحمن الناصر — الذى توصـلت اليه هذه الدراســة — يكمن فى الترتيبـات العسـكرية التى اتخذها الناصر ضد ابن حفصون ، وأوضحت الدراسة أن هذه الترتيبات سارت فى اتجاهين ، يتمثلان فى احـكام الحصـار لمدد طويلة حـول ابن حفصون ثم أبنائه من بعده فى قلعة ببشتر ، وتقليم أظافر حلفائه وأعوانه الذين يحتمون فى الحصون الصغيرة فى المنطقة • أما الاتجاه الآخر فهو حرمان ابن حفصون نهائيا من أية مساعدات تصله عن طريق البحر ، وذلك بتدمير أسطوله العامل فى البحر المتوسـط تماما ، ولذلك نلاحظ أنه بعد ضرب أسطول ابن حفصون مباشرة ، طلب هذا الثائر العنيد من الناصر الصلح ، وحافظ على هذا الصلح حتى آخر لحظة فى حياتــه

وقد اتاحت ثورة عمر بن حفصون فى الجنوب الأندلسى لحركة الاسترداد المسيحى فرصــة كبيرة للتقدم نحو ممتلكات المسلمين فى

اتجاه الثغور الاسلامية ، ومن ثم نلمس مدى التعاون القوى بين هذه القوى وبين عمر بن حفصون الذى أظهر اعتناقه للمسيحية ليحصل من هذه القوى على أكبر قدر من التأييد ، وفى الفترة التى ازداد فيها ضغط ثورة المولدين بزعامة عمر بن حفصون على الامارة ، واقترب هذا الثائر من قرطبة ، كان الفونســو الثالث ملك اشتوريس (٢٥٢هـ/٨٦٦م — ٢٩٦هـ/٩٠٩م) — الذى استغل هذا الازدهار لحركة عمر بن حفصون — فقام بغارات ناجحة على الأراضى الاســلامية ، وقام بعملية اعمار المناطق المتاخمة للحــدود الاســلامية ، فقام ببناء مدينة ســمورة (Zamora) سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م) ، التى تقطع الطريق ما بين مدينتى ماردة واسترقة (١١٠) ، وبعد ست سنوات أخرى قام ببناء مدينة شنت منكش (Simancas) (١١١) ، وكان لهاتين المدينتين أثر كبير فى ايقاع الأذى بالمسلمين فى فترة عصــيبة ، لم يتعد نفوذ الامارة فيها أحواز قرطبة ، وهذا التلازم بين حركة عمر بن حفصون ، وحركة الاسترداد المسيحى ، يوضح مدى تلاقى أهداف كل منهما لاقتلاع نفوذ المسلمين من شبه الجزيرة الأندلسية .

وتجدر الاشارة هنا أيضا الى أن هذه الحروب والاحتكاكات ، بين المولدين والعرب والبربر ، خلال ثورة عمر بن حفصون ، أسهمت بطريق مباشر فى خلط (١١٢) هذه العناصر ودمجها ومزجها — وهى صــاحبة حضارات مختلفة — وقامت بصهرها فى بوتقة أندلسية واحدة . ولاشك أن أدباء هذه الفترة ، الذين تبنوا قضية العداء بين العرب والمولدين فى كثير من أعمالهم الأدبية أسهموا ، فى تقريب الهوة بين الأطراف

---

(١١٠) د. احمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس وحضــارتها ، ص ٢٦١ ، Lane-Poole, S., op. cit., p. 119.

(١١١) المرجع السابق ، ص ٢٦١ ،
Lane-Poole, S., op. cit., p. 119.

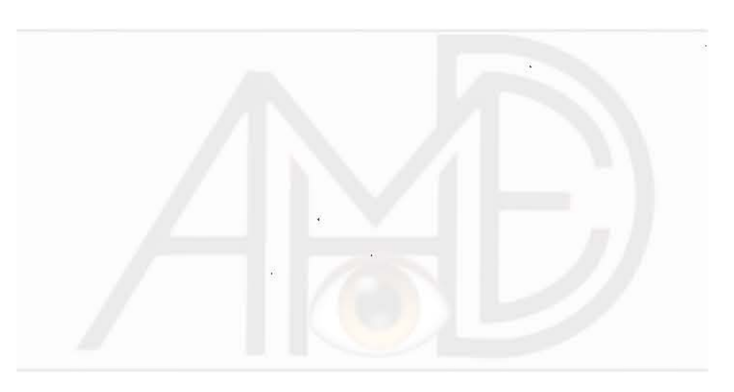
(١١٢) د. أحمد مختار العبــادى : فى تاريخ المغــرب والأندلس ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

المتنازعة في كثير من الأحيان • وكانت لهم وجهة نظرهم التي نشروها على الجماهير من خلال كلماتهم أوقصائدهم ، وهذه كونت رأيا عاما لدى الناس ، ينبذ الحرب والفرقة ، ويدعو الى وحدة الأمة والمجتمع تحت راية الاسلام ، وأرخت المصادر الى بين أيدينا لكثير من هذه الشخصيات من أمثال : مقدم بن معافى (١١٣) ، وعبد الملك بن جهور (١١٤) ، واسماعيل بن بدر (١١٥) ، وابن قلزم (١١٦) ، وابن عبد ربه ، الذى ضمن موسوعته الضخمة المعروفة بالعقد الفريد ، كثيرا من القصائد عن ثورة عمر بن حفصون ، وموقف الأمراء الأمويين من هذه الثورة ، وتعد الأرجوزة التى نظمها ، فى كتابه « العسجدة الثانية فى الخلفاء وتاريخهم وأخبارهم » من الأعمال الأدبية الضخمة ، التى تتضمن كافة الوقائع والأحداث التى كانت بين الناصر وعمر بن حفصون وأولاده من بعده ، وتعتبر هذه الأرجوزة سجلا حافلا بأمجاد الناصر العسكرية فى مواجهة عمر بن حفصون وأبنائه (١١٧) •

ظهر المجتمع الأندلسى بعد ثورة عمر بن حفصون مجتمعا قويا ، اختفت منه روح العداء بين العرب والمولدين ، كمحور رئيس تدور حوله أمور السياسة الداخلية ، كما كان الحال فى الفترة السابقة من عصر الامارة اعتبارا من أيام هشام الرضا (١٧٢هـ/٧٨٩م — ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م) والحكم الربضى (١٨٠ هـ / ٧٩٦م — ٢٠٦هـ / ٨٢٢م)• وحتى نهاية ثورة عمر بن حفصون سنة (٣١٦ / ٩٢٨ م) • وبذلك أصبحت بلاد الأندلس أمة أندلسية لها كيانها الخاص ، ولها شخصيتها الواضحة •

---

(١١٣) ابن حيان : المقتبس : ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٢١٧ •
(١١٤) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٨٩ •
(١١٥) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩١ ، ٦٤ •
(١١٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٣٩ •
(١١٧) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ت : أحمد أمين ، وآخرين ، ج ٤ ، ص ٤٩٩ — ٥٢٧ •



مَلَاحِقُ الكِتَابِ



ملحق رقم (١)

كتاب الناصر لدين الله بهدم ببشتر

وأنفذ الكتب بما كان منه فى هدم ببشتر الى عماله بنـواحى الأندلس فكانت نسختها :

بسم الله الرحمن الرحيم •

أما بعد ، فالحمد لله الذى قضى بالعز لمن أطاعه ، وختم بالذل على من عصاه ، وتولى أمر من تولاه ونصره وكفاه ، وتبرأ ممن عاداه وخذله وأخزاه ، الذى لا يزال يؤيد الاسلام ويسـبـدد من قام به ، ويوفق من دعا اليه ويعين من أعانه ، ويغلبه على من غالبه اختيـارا له واظهارا لفضله ، وصلى الله على محمد الحافى به ، والداعى اليه ، والمعز باعلائه ، والمؤلف لنظامه ، وسلم تسليما •

وانا لما أعظم صنع الله تعالى عندنا ، وحسن بلاؤه لدينا وعرفنا النصر والظفر فى كل ما تولينا ، وأعز ولينا ، وأذل عـدونا ، ومـكن سلطاننا ، وشرف أيامنا ، وأوطأنا ديار المشركين ، وملكنا معاقلهم ، وأحلنا منازلهم ، فتبوؤوا منها حيث نشاء ، حتى استتم لنا ذلك بالقاعدة العظمى ، والمنزلة العليا ، والغاية القصوى ، ببشتر ، مدينة المجرمين التى أعجزت الماضيين ، وأتعبت البـاقين ، وجعلت عبرة للعـالمين ، وأعجوبة للناظرين ، قصدنا اليها لنسر بها ، ونتنظر فيها ، ونعظم قـدر نعمة الله تعالى فيها ، والتحكم تدبير أمرها وتعريف حالها ، بضـبط ما يجب ضبطه منها ، واستقصاء ما كان أمرنا به من تخريبها وتدميرها ، قصرنا اليها ، واحتللنا بها وغاينا من شرف خلقتها ، وحصانة تعددتها ، وبديع نصبتها ، وامتناع وعلو مرتقاها ، وانقطاع مهـواها ما لم نظن

أن يـــكون فى الأرض شـــبهها ، ولا أن عامـــرا عمـــر مثلهـــا ولا عاقـــلا عقـــل نظـــيرها ، فأكثـــرنا حمـــد الله تعالى ، على ما يسر منها وسهل من خطبها ، وعلمنا أن لا حول بنا ولا قوة الا به اللطيف بما يشاء « وهو على كل شىء قدير » اذا أراد أمرا قضى به وسهل مرامه ، وذلل صعبه ، وقرب بعيده ، وألان شديده، فذلك الله الذى لااله الا هو العلى العظيم ، فتم ما أردنا ، وانتهى الى ما حددنا ، وأحكمنا من ضبط قصبتها ، وبنيانها على أحسن وأكمل التفكير ما حببنا .

ثم مزقنا رجالنا عصبا ، ووزعناهم نوبا على هدم حصونها وقصابها والديارات الخارجة عنها المحيطة بها ، مثل شنت أولالية ، وشنت مرية، وقصبة صهيب ، التى كان جميعها محوقا بجبل ببشتر ، وكلها نظير لها فى الحصانة والمنعة ، وأمرنا بهدم المسجد الذى كان أقامه الكافر عمر فيها أول أمره لمن كان فيه من فسقة المسلمين ، وطمس أعلامه ، اذ كان مسجدا أسس على غير التقوى ، وبوعد من البر والهدى ، وابتنى من غنائم المسلمين وأنهابهم ، فألحقت قواعده ببواسـقه ، وصـير قاعا صفصفا ، وعهدنا باحراق منبره الذى دعى فيه للخنزير الضال ، ومن خلفه من نسله الخبيث ، وأعلن عليه بدعوة الشيعى الفاسـق الداعى صاحب افريقية ، الذى كان الكافر قد تعلق بدعوته ، وموه على الناس الاتصال بالاسلام فى كبار بدعته .

ثم قلدنا أمر ببشتر ، والكون فيها والتولى لمن يليهـا ، الوزير سعيد بن المنذر القرشى ، لما عرفنا من كفايته فيما يتولاه ، وضلاعته فيما يحمله أو كان قد بقى من شعب الكفر ، وعصص الشرك ، وأعضاء الشيطان ، وعباد الأوثان ، أهل الحصون الثلاثة المحضـة الطغيان بمـارش ، وشنت بيطـر ، وبطـرون ، وهم يعتـدون فى ألـوف ويقدرون الألف لهم بالزحوف ، قد طاولتهم المدة وتكاثرت منهـم ، وانظرتهم النعمة ، واستقرت بهم الدار ، وأمنوا صروف الأيام ، ولا تروعهم رائعة الدهر ، ولا دارت عليهم دائرة الزمان ، عندما نلناهم فى

صائفتنا الماضية ، من حطم زروعهم ونسف كرومهم وقطع شجرهم ، وكنا أمرنا بتخريب أسوارهم وقصباتهم والبقاء فى أجبلهم وشعابهم، تدريجا لهم وتسهيلا لصعوبتهم ، فانطاعوا لذلك عندما ملكنا لبيشتر عاصمتهم ، وما فارقهم من عزها ، وأسلمهم من حرزها ، وأذلهم من فقد نصرها وانكشف من سترها •

ثم لم نقتنع منهم عند انكشاف ظل ببشتر عنهم ، حتى أمرناهم بالهبوط من تلك الأجبل الشامخة ، التى علقوا بذراها ، والهضاب الباذجة التى ركبوا الى حماها ، اذ كانت منيعة دون أسوار صعبة المرام من جميع الأقطار ، مع غلظ الشوكة ، وشهامة الحيلة واتساع الطاقة ، وكثرة العدد والعدد ، وأخذناها بالوعد والوعيد ، واللين والشدة ، فبلوا عن عزائمنا التى باشروها فى أمثالهم وامتحنوها فى أشكالهم ما لم يكن لهم معه بد من التنفيذ لما أمروا به ، الانقياد فيه ، والطوع له ، وبعد لأى ما أذعنوا ، وبشق الأنفس منهم ما انقادوا فخرجوا عن تلك المعاقل راحلين ، وهبطوا الى قراها السهلة ذاهبين ، ووكلنا الوزير محمد بن عبد الله بن حدير مولانا ، لمشاهدة خروجهم واستيعاب نزولهم ، حتى خرجوا عن آخرهم الى بسيطهم الذى كانوا وأسلافهم فيه نازلين على قديم الدهر ، وخلت تلك الأجبل المانعة منهم ، وأقفرت من جميعهم ، وأضحت خرابا على أيديهم ، وحل الله عقدهم وبدد شملهم •

وأمرنا الوزير ابن حدير باخراج العرفاء عنهم ، الذين كانوا ، أووا اليهم وأكثروا عددهم ، وحددنا لهم تمييزهم وابعادهم عنهم ، وألا يسكنوا فى قراهم ولا ينبسطوا ببسيطهم ، وأن يذهبوا على وجوههم ، ويتشتتوا فى الأرض العريضة ، متفرقين الى أصولهم منها ، التى منها أتوا اليهم ، ومن قبلها اجتمعوا لديهم ، وعنها تألفوا بهم ، تقليلا لعددهم وتقليلا لكثرتهم ، وتقليصا لجماعتهم ، فتفرقوا

منقطعين الى جهاتهم ، ولم يبق للنصرانية حصن مذكور ، ولا معقل معمور والله بذلك محمود مشكور •

ثم انفذنا من ثقات موالينا وكفاة خدمتنا رجالا عددا فرقناهم على حصون كورة رية ، التى كانت متخذة معاقل ، بسبب أولئك الكفرة ، نصارى الذمة المنتقضين المجتمعين على كبار الملة ، وتقدمنا اليهم بتخريب جميعها ، وحط أسوارها ، وهدم قصباتها ، وثغر أجنابها وابعاد أحجارها ، وقطع آثارها ، فانفذوا ذلك ، وأتو على المراد منهم ، ولم يدعوا معتقد ذمة من منتقضى النصارى الكفرة يميل الى معقل، على أربعين حصنا جميعها بكورة رية ، لم يبق منها بحمد الله حصن مضبوط ولا بها عدو محذور ، بقوة الله وحسن تأييده •

واحتملنا على مثل ذلك فى حصون كورة تاكرنا ، وحصون مغيلة من كورة شذونة ، الاما وجب التمسك به منها ، ولم ندع مع ذلك ازعاج من وجب ازعاجهم الى قرطبة من أكابر أهلها ، الذين عرفوا أيام الفتنة ، ولابسوا أهلها ، وكانت لهم على الرعية بعض الاستطالة والى عمالها بعض المعارضة «ليكون الناس أمة واحدة» ورعية ساكنة ، مرؤوسة ، غير رائسة ، متحكما فيما يجب لله ، عز وجل ، عليها ، غير حاكمة ، ورجونا من الله تعالى على جميع ما باشرناه من ذلك وكابدناه وقاسيناه وتجشمناه ، الجزاء الجميل والثواب الجزيل ، فما تولينا منه شيئا الا ونحن نريد به وجهه،ونتحرى به رضاه،وأمرنا الوزيرعبدالحميد ابن بسيل ، مولانا ، بالتقدم الى كورة شذونة ، لانزال الرعية الى البسائط وهدم حصون الكورة وجمع أهلها الى مدينة قلسانة ، واستنزلنا ابنى داود عن الحصون التى كانا بها ماقبلها ، ووليناها عمالنا •

فكانت سفرتنا هذه أيمن سفرة وأجمعها لكل خير ، وأحسمها لكل ضر ، وأجلبها لكل سرور ، وأرفعها لكل محذور وأشدها تمكينا من الصلاح ابعادا للجناح وتقريبا للجناح • ثم قفلنا بعد اكمالنا لجميع

ذلك ، حامدين لله تعالى ، على ماأعان عليه ووفق له وألهم اليه ، حمداً يتقبله ، ويرضاه ويؤدى حق نعمته وجزاء صنعه ويستدام معه مامن به وأحسن فيه ، لااله الا هو العزيز الحكيم .

فأمر بقراءة كتابنا هذا فى المسجد الجامع فى موضعك على أوليائنا ورعيتنا قبلك ، ليبشروا به وليحمدوا الله تعالى ، على عظيم نعمته عندهم واحسانه اليهم ، من قمع عدوهم ونصر حقهم ، وشعب عصاهم ، وتأمين سلبهم ، وصلاح أحوالهم ، وانفتاح طرقهم ، وليشكروه ، تبارك وتعالى،على ما أسبغه من فضله بذلك،فانه شاكر يحب الشاكرين، ويكافىء بفضله الحامدين « ولا يضيع أجر المحسنين » ان شاء الله وهو المستعان (١) » .

---

(١) ابن حيان : المقتبس ، ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٢٣٢ — ٢٣٧ .

ملحق رقم (٢)

نسخة كتاب الناصر لدين الله الى الآفاق بفتح قلعة بيشتر

« بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الذى علا فقهر ، وملك فقدر ، وأحكم ما دبر ، وأعز الاسلام ونصر ، وأذل الكفر ودمر . باعث الرسل ومنزل الكتب ، الذى اختص محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، بالنبوة وشرفه بالرسالة ، وجعله البشير النذير ، والسراج المنير ، وأوضح به اليقين ، ونهج به الدين ، وختم به النبيين ، فصلى الله عليه وسلم ، وقدس وعظم ، وشرف وكرم ، ثم اصطفى لخلافة نبيه ، واجتبى لامامة دينه أفاضل خلقه وخيار عباده المتقين المرتضين ، أهل الامامة والأمانة ، أقاموا السنن وأطفؤوا الفتن ، واتسق بهم نظام الدين متصلا ، ومثل عمود الاسلام معتدلا ، وقام رواقه ممتدا ، واستوى ركنه مشتدا .

والحمد لله الذى جعل الاسلام نجاة من تمسك به ، ومؤديا له الى رحمته ، وجعل الشرك به خزية لمن تقلده ، وسائقا الى عذابه ، ومستوجبا عليه عقابه ، وجعل جهاد أهله من فرائضه العظمى ، وجعل المجاهدين لهم اليد العليا ، ووعدهم الزلفى فى الآخرة والأولى .

ثم انا لم نزل ، قد شرفنا الله بخلافته ، واختصنا بامامة عباده ، نبتغى الغاية القصوى فى جهاد أعدائه ، ونداب فى نصر أوليائه ، ولا تلفتنا عن ذلك لفتة سأمه ، ولا يلهينا عنه تملى دعه ، حين امتلأت الأرض كفرا ، وفاضت شركا ، وتوطد النفاق ، واستعجل الشقاق ، وهدر كل ناعق فى طود منعه ، ونب كل وعل فى رأس شاهقة ، قد تأثلوا بكثرة العدد (والعدة) ، واعتزوا بطول المهلة وتراخى المدة ،

فرفلوا بين الخليقة ، واتسعت بهم البسيطة ، وابتعثنا الله بقدرته لنثنيهم عن الضلال وحملهم عن الطريقة ، فلم نزل نبخهم ، ونتحراهم واحدا بعد واحد ، ونستنزلهم عن معقل بعد معقل ، ونقصد منهم جانبا بعد جانب ، نؤم الأدنى بعد الأدنى ، ونستقرى الأقصى فالأقصى ، حتى أذل الله عزتهم ، وسكن ثورتهم ، وأوهن كيدهم ، وشتت جمعهم ، وزلزل بهم وأخلى معاقلهم ، وقيدوا الى الطاعة صغرة بجرائمهم ، واصطفى السيف مجرميهم وفساقهم ، وأفنى القتل أنصارهم وأشياعهم ، فعادت البلاد بعدهم مطمئنة ساكنة ، قد أمن بها المخوف ، وقوى فيها الضعيف ، وانقمع أهل الشر والعناد ، وقبضت أيدى أهل الباطل والفساد ، وعلت عن كل مسترهف ومستضعف ومظلوم غير منتصف ، لا نكل استصلاح جميع ذلك الى غيرنا ، ولا نرضى فيها الا بمناظرتنا ، عاما بعد عام ، وصائفة أثر صائفة ، حتى يسر الله بقدرته من الصلاح ما أملناه ، وادركنا منه ما رجوناه ، وبلغنا منه الى أقصى حدود ما أحببناه ، بفضل عون الله لنا ، وتأييده لأمرنا ، وحسن أقضيته فى جميع أسبابنا ، وافراغه الصبر علينا ، وتسهيله كل عسير عندنا فالحمد لله المنان الكريم ، ذى الآلاء والفضل العظيم .

وكانت مدينة ببشتر قاعدة الشرك ، ودار الكفر والافك ، ومكان عز النصرانية وموئلها ، ومفزعها وقرارتها،وبيضتها المنتجعة من أقطارها وحرمها ، الذى من صار فيه اعتصم ، ومن عاذبها سلم ، قد امتدت بها المدة ، وتداركت عليها النعمة ، وساعدتها الأيام باتصال الدولة ومحادة متقلدى الخلافة ، منذ خمسين سنة ، ظللوا يوالونها بالحروب ، ويرهنون لها المكايد ، فتدافع عنها المدة المكتوبة ، وتشتد بها الفتنة المشبوبة ، لا ينتهى اليها طمع طامع ، ولا يرقى اليها أمل آمل ، قد عمت بضرها كل بلدة ، ووصل شرها الى أهل كوره ، وأقفرت كل مدينة ، وسلبت كل بهجة ، واحتوت على كل فائدة ومنعت من سواها كل عائدة ،

الا النبذ اليسيرة واللقى الحضير ، وهى من شرف المكان وسماكة البنيان ، مع سمو الذروة ، وعلو الرفعة من كل جهة ، لا شبيه لهـا ولا يقارفها منها شرفة البنيـان ، مسـاكنها على اتساعها متضـاعفة الأبنية بأهلها على فسحة رباعها ، نشأ فيها الصغير محربا وعشا فيهـا الكبير مجلبا ، وصاحبها ، من الثقة والأمل الميســور لهـا والوقاية الممدودة عليهـا ، فيما وهمه الأزوال لهـا ، ولا انتقاص لعـدتها ، ولا انقاض لعقدتها ، ولا يد للدهر تدخل فيها ، ولا صرف من صروفه يعتريها .

وكان جدنا المجرد لها ونظرنا المحيط بها ، الممهدان لكل مهدنا ، الباسطان من المعاقل لجميع ما بسطنا ، واستنزلنا من قروم النفـاق لكل ما استنزلنا ، حزما وتعريجا اليها ، وسـعيا فى الفـراغ لها ، والانفراد لمحاصرتها ، وعملا فى ادخال النقض عليها ، والايهـان من لقوتها ، يستصغر لذلك كل عظيم ويستحقه ، وان جل عندنا فى مداولتها كل جسـيم ، سـموا بالأمـل اليهـا ، ونقدما بناهض الرجاء فيهـا بعزيمة ترمى الا بعد من الأمنية ، وتقطع كدا أعناق المذاهب السنية ، حتى اذا خلت من حصونها المتصلة بها ، وأفردت من معاقلها المجاورة لها ، وانقطعت قواها ، وجفت جداولها ، وانجذمت مرافقها ، فلم يبق الا هى بعينها ، ومدخر القوات فيها ، قصدنا لها بأنفسنا ، وأممناها بعزائمنا ، فابتغينا عليها المدائن الشريفة ، ورفعنا فوقها الحصـون المنيفة ، وأنزلناها القواد والقوة وكثرنا فيها من العـدد والعـدد ، وتقدمنا اليهم بمداومة التضييق على من فيها ، وصلة المحاصرة والتردد بالأرصاد ، والمضايقة وقطع المسيرة من كل جهة ، وترك تقبل النزوع من كل طبقة ، وحمل السيف على كل من خرج عنها أو دخل اليها ، وسبى من وجب سبيه من نسائها وولدانها فنبذوا ذلك من عهدنا ، واحتملوا فيه على أمرنا ، وأخذوا بأحد عزم وأشد حزم ، فأكلهم جهد الحصار ، والارتصاد بالليل والنهـار ، وذهبت طوائف منهم بالقتـل وجماعات

بالسباء ، وعاينوا مالا صبر لهم ولا قرار بهم معه ، ولا استيطان به ، ولم يجدوا ملجأ يلجؤون اليه ، ولا محيصا عما صاروا فيه ، وراموا اخداعنا بعرض طاعتهم وثنى عزمتنا ببذل اذعانهم ، على أن يدخلوا مدخل الجماعة ، ويسلكوا طريق أهل الطاعة ، رجاء منهم فى التنفس عنهم والارجاء من مخنقهم فلم نصغ لهم من مطالبهم الى مطلب ، ولا أجبناهم من مذاهبهم الى مذهب ، اذ علمنا أن تلك الدعوة الكافرة والقلوب النافرة الثابتة على الغل والغائلة ، لا تزال مريضة بما نشربها ، مائلة الى الشرك الذى فتنها ، فصددناهم عن الاستقرار بعش ضلالتهم وأبحناهم النزول خارجون عنها متبددين منها ، فأسرعوا الى ما ابحنا لهم من ذلك اسراع الاضطرار ، ناجين من ضيق الحصار ، وأعطيناهم على ذلك أمانا وسعهم .

وعهدنا الى الوزير أحمد بن حدير بالتقدم اليهم لحضور خروجهم، ومباشرة نزولهم ، واكمال الأمان لهم ، وقبض الأيدى عنهم ، فنهض الى ذلك وقصد له ، فلما صار بمدينة طلجيرة المبتناه على مدينة ببشتر هيت بالظاعنين عنها ، فتساربوا خارجين ، وتهافتوا ذاهبين ، وتفرقوا أيدى سبأ الى جوانب شتى ، فقصد كل واحدا الى منزعه ، وأم مكان طماعيته ، ولحقوا بمدائن الطاعة ، فصاروا فى عمار الرعية ، وتمكث خلفهم عميدهم ، حفص بن عمر ، طائر الفؤاد ، خافق القلب ، لم تطلب نفسه على الخروج خورا ، ولا سكن منه الأمان نفارا ، يخشى كل يد أن تضبط عليه ، وكل شجرة أن تتعلق به ، قد خامره من الرعب ما كاد أن يوفى به على العطب ، فطامن الوزير أحمد بن محمد بن حدير من جزعه ، وسكن من جأشه ، ووفاه من أماننا المبسوط لينا وثق به ، واطمأن اليه ، فخرج آخر الخارجين ، ولحق بالآمنين فأصبحت مدينته ، بقعة الضلالة ومنبر الخلاف ، ومعدن الغواية بما أحاط بها من أسوارها وأبنيتها وقصابها ، وداخلها من جناتها ، ومصانعها مقوية من قطينها ،

خاوية على عروشها ، كأن لم يغن بها ساكن ، ولا أستوطنها قاطن قد « أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب » بما اقترفوا ، وصار جميع ما كانوا فيه من ظل العافية وأفق النعمة ثبورا ، وكل ما مناهم الشيطان غرورا ، فكم بقعة فيها كانت بالكثرة ما هو له وبالثروة معمورة ، فقد صارت أخلى من قفر وأوحش من قبر ، كذلك فعل الله تعالى جده ، وان طالت نظرته للكافرين ، ومهلته للقوم المجرمين « اذ أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد » .

وأمرنا عند ذلك بتخريب مدينة ببشتر ، وحط أسوارها ، وانزال جدرانها ، وهدم كل قائم فيها من قصورها ودورها ومخازنها ومبانيها واعادتها جبلا أجرد ، على ما كانت عليه لأول خلقها وقديم أمرها ، محوا لحلة الكفرة الظالمين ، ونسفا لقرارة المشركين المعتدين ، وطمسا على دار الشرك ، وقطعا لآثار الافك « فأصبحت كالصريم » ، ثم استنقدمنا حفصا اللائذ بالتوبة الى ما تفضلنا عليه من التأمين والتمكين ، وعدنا عليه من العفو والتضمين ، وأخذنا فيه بالفضل المبين الذى جعلنا الله أهله ، وغلب على مذهبنا ايثاره ، وجمعنا له من ذلك ما اغتبط به ، وسكن اليه ، وقرر نفسه عليه .

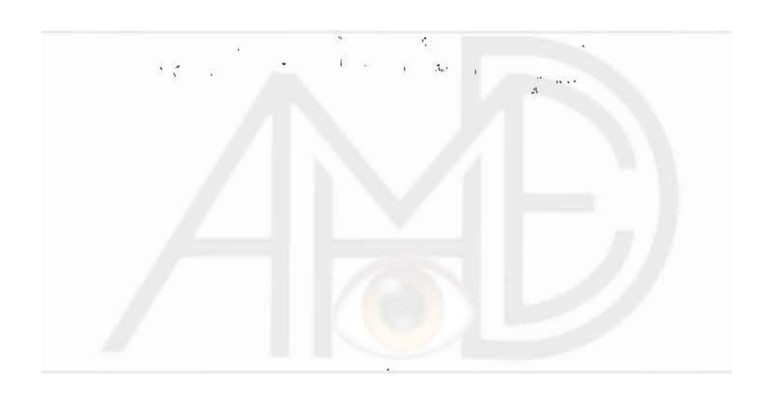
فاعلم ذلك وقف عليه ، واستشعر حمدا لله ، ومر بقراءة كتابنا هذا اليك على المسلمين قبلك ، فى جامع موضعك ، ليحمدو الله ، عز وجهه ، على عظيم ما اصطنعه اليهم ، ووهبه لهم ، وليحدثوا من شكره تعالى ، على ما درأ عنهم ، والتقرب بنوافل الحمد اليه ما يستدام به رضاه ، عز وجهه ويستجلب به المزيد من نعمه ، ان شاء الله ، وهو المستعان .

وكتب يوم الخميس لخمس خلون من ذى الحجة سنة خمس عشرة وثلاث مائة(٢) » .

---

(٢) ابن حيان : المقتبس : ت : شالميتا ، ج ٥ ، ص ٢٢٦ — ٢٣١ .

مصادر الكتاب



المصادر والمراجع

ابن الأبار : أبو عبد الله محمد القضاعى البلنسى
(ت : ٦٥٨ هـ) .
الحلة السيراء .
الجزء الأول ـ تحقيق : د. حسين مؤنس
الشركة العربية للطباعة والنشر

١ ـ ابراهيم العدوى : دكتور
قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط .
مكتبة نهضة مصر بالفجالة ـ طبعة ١٩٦٣ .

٢ ـ ابن الأثير : على بن أحمد .
الكامل فى التاريخ ـ الجزء السابع .
طبعة ـ بيروت ١٩٦٥ .

٣ ـ أحمد بدر : (دكتور) .
دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها .
مكتبة أطلس ـ دمشق ـ الطبعة الأولى .
ـــــــــــ : تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى
" عصر الخلافة
دمشق ـ الطبعة الأولى .

٤ ـ أحمد شلبى (دكتور) .
موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية .
مكتبة النهضة المصرية .
الطبعة الثانية ١٩٦٦ ، الجزء الرابع .

٥ — أحمد مختار العبادى : (دكتور) .

في تاريخ المغرب والأندلس .

مؤسسة الثقافة الجامعية — الاسكندرية .

———— : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس .

طبعة — ١٩٦٨ .

٦ — بالنثيا : آنخل جنثالث .

تاريخ الفكر الأندلسى .

ترجمة : د. حسين مؤنس .

طبعة أولى — مكتبة النهضة المصرية .

٧ — البكرى : أبو عبيد (ت : ٤٨٧ هـ) .

المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب .

طبعة — مكتبة المثنى ببغداد .

٨ — ابن حزم : على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى .

جمهرة أنساب العرب .

نشر : ا. ليفى . بروفنسال .

طبعة : دار المعارف بالقاهرة — ١٩٤٨ .

٩ — الحميرى : أبو عبد الله محمد بن عبد عبد الله بن عبد المنعم الحميرى .

صفة جزيرة الأندلس .

ت : ا. ليفى . بروفنسال .

لجنة التأليف والترجمة والنشر .

القاهرة — ١٩٣٧ .

١٠ — ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف (ت : ٤٦٩ هـ) •
المقتبس فى تأريخ رجال الأندلس •
تحقيق : الأب ملشور م• أنطونية •
باريس — ١٩٣٧ •

———— : وقطعة أخرى : تحقيق : الدكتور محمـود على مكى
طبعة دار الكتاب العربى ١٩٧٣ — بيروت •

———— : وقطعة أخرى : تحقيق : ب• شالميتا •
الجزء الخامس — طبعة مدريد ١٩٧٩ •

١١ — خالد الصوفى : (دكتور)
تاريخ العرب فى الأندلس •
منشورات الجامعة الليبية •

١٢ — ابن الخطيب : لسان الدين •
أعمـال الأعـلام •
نشره : ا • ليفى • بروفنسال •
طبعة ١٩٣٤ — رباط الفتح •

———— : الاحاطة فى أخبار غرناطة •
تحقيق : محمد عبد الله عنان •
الجزء الأول — طبعة دار المعارف •

١٣ — ابن خلدون : عبد الرحمن (ت ٨٠٨ هـ) •
العبر وديوان المبتدأ والخبر •
طبعة دار الكتاب اللبنانى — بيروت •

١٤ — عبد الله جمال الدين : (دكتور) •
الموريسكيون أو المدجنون آخر المسلمين فى الأندلس•
حوليات دار العلم — العدد الثامن — ٧٧ — ١٩٧٨ •

١٥ — عبد الحميد العبادى :

المجمل فى تاريخ الأندلس .
الطبعة الثانية — ١٩٦٤ .

١٦ — ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد .

العقد الفريد .
تحقيق : أحمد أمين وآخرين .
طبعة — ١٩٦٢ .

١٧ — ابن عذارى : المراكشى .

البيان المغرب .
تحقيق : ج. س. كولان ، ا. ليفى . بروفنسال .
دار الثقافة — بيروت — الجزء الثانى .

١٨ — ابن الفرضى : عبد الله بن محمد بن يوسف الازدى (ت : ٤٠٣هـ)

تاريخ علماء الأندلس .
طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة — ١٩٦٦ .

١٩ — ابن القوطية : القرطبى .

تاريخ افتتاح الأندلس .
طبعة مجريط — ١٨٦٨ .

٢٠ — مجهـــول :

أخبار مجموعة .
مكتبة المثنى ببغداد .
عن طبعة مجريط ١٨٦٧ .

٢١ ـ محمد عبد الله عنان :
دولـــة الاســلام فى الأندلس (العصر الأول)
القسم الأول والثانى ـ مكتبة الخانجى بالقاهرة .
الطبعة الرابعة .

٢٢ ـ محمد عيسى الحريرى : (دكتور) .
مقدمات البناء السياسى للمغرب العربى .
مكتبة الشباب ـ القاهرة .
الطبعة الأولى ـ ١٩٧٩ .

٢٣ ـ محمود اسماعيل عبد الرازق : (دكتور) .
الأغالبة سياستهم الخارجية .
طبعة ـ ١٩٧٢ .

٢٤ ـ محمود على مكى : (دكتور) .
الخوارج فى الأندلس .
تطوان ـ مجلة الابحاث المغربية الأندلسية .
العدد الأول ـ ١٩٥٦م .

ـــــــــــ : التشجيع فى الأندلس .
صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد .
المجلد الثانى ـ ١٩٥٤ .

٢٥ ـ النــويــرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب .
نهاية الأرب فى فنون الأدب .
(برقم ٥٤٩ ـ معارف عامة) .
مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية .

٢٦ — ويستنفلد : ف .
جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها .
ترجمة : الدكتور عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان
الانجلو المصرية — ١٩٨٠ .

٢٧ — ياقوت : شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله .
معجم البلدان .
طبعة — بيروت .

المراجع الأجنبية

GAYANGOS, B.,

The History of The Mohammedan Dynasties in Spain, London, (2 Vols).

HITTI, P.K.,

History of The Arabs, London (1943).

LANE-POOLE, S.,

The Moors in Spain, London (1887).

SCOTT, S.P.,

History of The Moorish Empire in Europe, London (1904).

فهرست

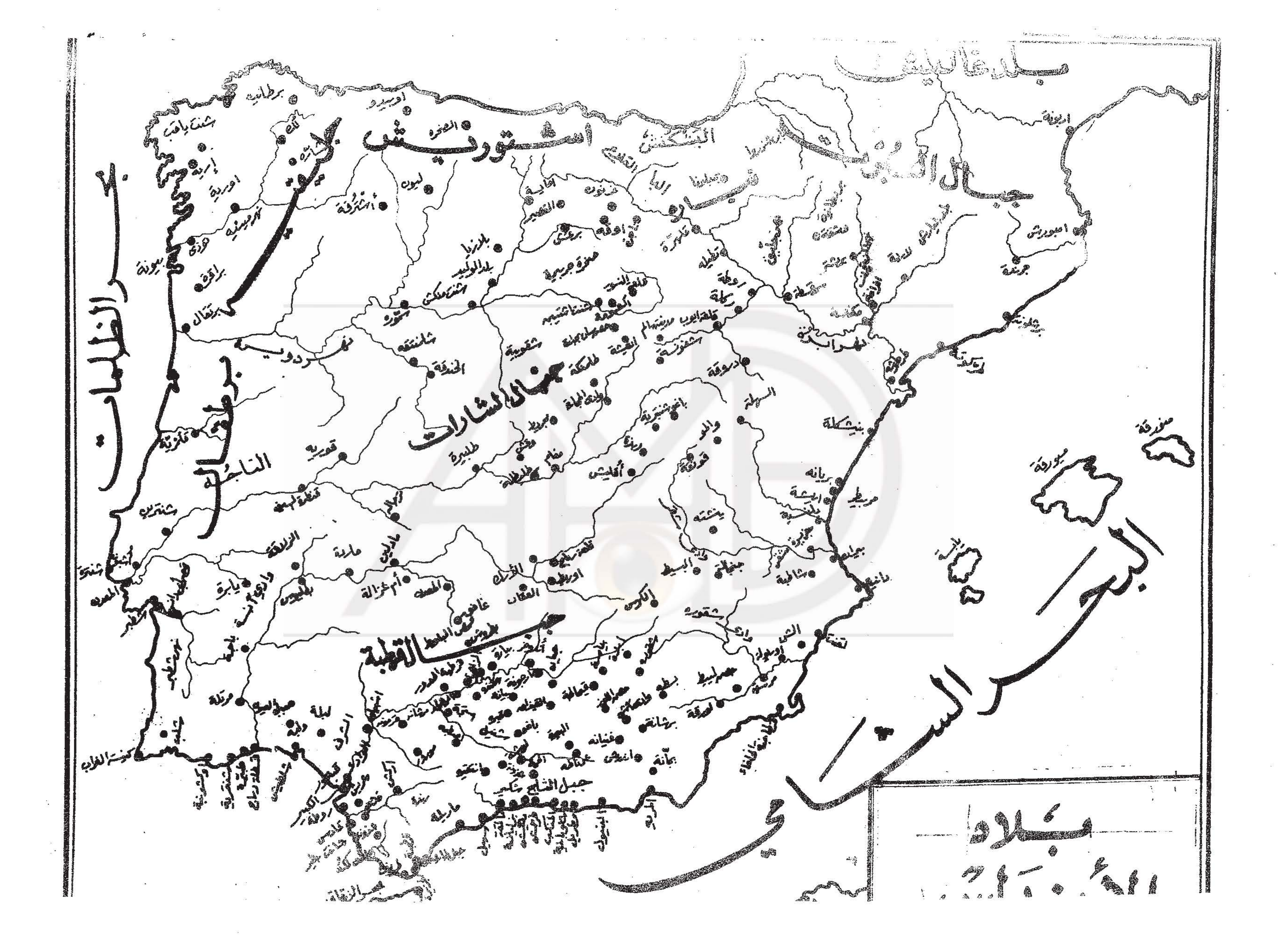


مطبعة الجبلاوى

٢٠٢ شارع الترعة البولاقية ــ شبرا

رقم الايداع بدار الكتب ٣٨٢٠ / ١٩٨٠





اشتوريش
بحر الظلمات
البرتغال
جبال الشارات
البحر الشامي
التاجه
منورقة
ميورقة
طلبيرة
قورية
ماردة
شنترين
يابرة
لبلة